SiBA
الكلمة الصادقة لا تحتاج إلى الزخرفة

سبا الثقافية

شهرية ثقافية فنية

العدد 43

سبا الثقافية

01 / 02 / 2021

بريشة التشكيلية: لافا إيبو

لنا كلمة

الوعي والوعي الزائف

من بين الطرق التي نحاول اللجوء إليها لكي نتحرّر من سيطرة الآخر، والتي دائماً ترسم لنا صورة زائفة لوجودنا، والوعي الذي نحاول المناداة به أمام وعيهم الزائف والمنتشر بكثرة في مجتمعاتنا، كان لا بدّ من وجود أصوات تحارب أصحاب هذا الوعي الزائف، الذي أصبح مسيطراً على العقل الجمعيّ، وبشكل خطير، بانهيار المجتمع بكل جوانبه.
ولكي نحدّد مفهوم الوعي الزائف لا بدّ لنا من معرفة الوعي أولاً، وما المقصود به.
الوعي: كلمة تعبّر عن حالة العقل إدراكاً، وعلى تواصله المباشر مع المحيط الخارجي عن طريق نوافذ الوعي المتمثّلة بشكل عام بالحواس الخمس، ويعتبر الوعي جوهر الإنسان وخاصيته التي تميّزه عن باقي الكائنات الحيّة، وهي عملية ترتبط بمجموعة من المشاعر والأحاسيس، وأيضاً بسلوك الإنسان وكيفية تعامله مع الأشياء.
ولكي نتعرّف على أساليب وطرق نشر الوعي الزائف المنتشرة بكثرة على وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي وغيرها، لا بدّ من معرفة الأسباب التي تجعل بعض المؤسّسات والأشخاص الذين يستخدمون هذه الوسائل، للوصول إلى أهدافهم، والتي عادة تكون مصالح شخصية أو حزبية ومؤسّساتية.
ومن هذا الوسائل يأتي في المرتبة الأولى الإعلام والسوشيال ميديا، أولاً الوسائل من حيث التأثير على المجتمعات، نرى بأن الإعلام الذي يبتعد عن مهمته الأساسية وهي الرقيب والبحث عن الحقيقة وتقديم الصورة الحقيقية وتوعية المجتمع، التي تكون أهم أهدافه، فنرى بعض الوسائل الإعلامية والمواقع الحزبية أو التابعة لبعض الدول والأطراف الإقليمية والأشخاص المحليين تقوم بخدمة المصالح الخاصة والابتعاد عن المصداقية والحقيقة، وتفصّل الخبر أو الموضوع على مقاس مالِك الموقع أو القناة أو الجريدة.
وهكذا تصل الفكرة غير كاملة ومشوّهة، ويصدقها معظم الناس وتكون لهم ردّة انفعالية بعيدة عن التفكير والوعي، ولتكون الفكرة المراد نشرها والترويج لها قد وصلت إلى النقطة المراد تحقيقها، فيصبح الوعي الزائف هو المسيطر على المجتمع والعامة.
والوسيلة الأخرى المنابر الدينية وبرامجها، التي تكون عادة لخدمة جماعة معينة تؤمن فقط بأفكارها، وتكفر كل رأي خارج عن دائرتها الضيّقة، وكل مَن لا يؤمن بفكر هذه الجماعة يكون كافراً. والجماعة تأخذ كل آية أو حديث يخدم أفكارها ومصالحها، وبهذه الحالة يتحوّل الدين إلى مجرّد وسيلة لمصالح الجماعة والشخص.
وأما في مجال التربية التي أصبحت فيها المناهج مجرّدة من كل شروط التربية والتعليم والمعرفة، وأصبحت وسيلة للسيطرة على عقول الجيل الصاعد عن طريق نشر أفكارهم.
ولا ننسى الهيئة التدريسية التي تكون مختارة على أساس الطاعة، وأن كل فكرة تخدم الجماعة تكون صالحة وحقيقة، وكل شخص جاهل وأمّيّ يتبنّى أفكار الجماعة أو الحزب يكون أستاذاً من الدرجة الأولى، وكل شخص يكون ضدّ أفكارها مهما كان تأهيله العلمي وثقافته عالية فهو شخص جاهل متخلّف، لا يصلح لتعليم جيل المستقبل، حسب رأي الجماعة.
ولا ننسى أيضا الفئة التي تحاول العمل على مصالحها الخاصة الوقتية والطبقية وهذه الفئة ينتمي إليها أصحاب الشعارات والمسؤولين وطبقات رجال الأعمال المستفيدين من تضليل العامة وينادون بالشعارات الوطنية الفضفاضة وهم أكثر الفئات المستفيدة من الفساد ونشر الوعي الزائف، والهدف الأساسي هو المصلحة الشخصية التي تكون فوق الجميع.
لا بدّ أن تكون عملية الوعي لدى الفرد ألا تنحصر على جانب ولون واحد من الحياة، وهذا النوع من الوعي نجده بكثرة لدى الأحزاب والتيارات الدينية التي تحاول دائماً المناداة بأنها على حق، ولا يتقبّلون الرأي الآخر.
وفيما يخص الوعي الشامل الذي يجعل الشخص يدرك المصلحة العامة فإن الإنسان فوق كل اعتبار، ومصلحة وأصحاب هذا الوعي ينظرون إلى الإنسان نظرة إنسانية، والى الأشياء بموضوعية، ويدركون ما يدور حوله من تحوّلات في المجتمع، ويواكبون التطور الذي يحدث في الواقع، وأصحاب هذا الوعي ضد أي تعصّب أيّ قومي ديني حزبي، ولا يرتبطون بأي أهداف ومصالح مادية، فيكون أصحابه مستهدفين من قبل أصحاب المصالح الخاصة والمؤسّساتية التي تحاول نشر أفكارها التي تخدم مصالحهم. وهم عادة يكونون مبعدين عن وسائل الإعلام ومهمشين من قبل دولهم، وهذه الفئة تحاول دائماً نشر الوعي ومحاربة التضليل والمصالح الخاصة للدول والشخصيات، وعادة هذا الوعي يكون ضد الوعي الزائف المنتشر بشكل كبير في مجتمعاتنا.
وهكذا يمضي المجتمع نحو الهاوية، ويصبح خاضعاً لفكر شخص أو جماعة معينة، ويكون كل رأي مخالف لرأي الجماعة خاطئاً، ويصبح الوعي الزائف هو المسيطر على العقل الجمعي للمجتمع، وأصحاب الوعي والفكر يصبحون منبوذين ومبعدين من المجتمع؛ لأنهم ينادون بالحقيقة، ويشكلون خطراً على مصالح الجماعة، فكيف نستطيع محاربة هذا الوعي الزائف في مجتمعاتنا؟ ومتى نستطيع أن نكون أصحاب رأي وشخصية مستقلة في الفكر والمعرفة؟

هيئة التحرير

تقرؤون في هذا العدد:

يوسف الرحبي لجريدة سبأ
الكتابة جزء اساسي وربما الجزء الأهم والحاسم، في عالم ينهار ويتصدع حولنا

دراسة في رواية "خيط واهن"
إدريس سالم

استأذن ذاكرتك
سمير بوعزيز

نزيف الذاكرة
أفين أوسو

قاضي الإعدام
مصطفى تاج الدين الموسى

المواد المنشورة في الجريدة تعبر عن آراء كاتبيها
ولا تعبر بالضرورة عن رأي الجريدة

لمراسلتنا أو إرسال موادكم:
sibakenu@hotmail.com

سيف الرحبي لجريدة «سبا»: لم أعد أتذكر من الوجوه سوى وجه أمّي باكياً على الحافة، ووجه أبي في المطار القديم

حاورته: فاتن حمودي

«لا ندين لأحد بشيء
عدا أرجلنا الثكلى
بالمسافات»

بول شيلي

الشاعر هو المسافر الأبدي، الذي يملك عمقا فلسفياً ورؤية خاصة للوجود والعالم، وشعرية تعري خراب الكوكب، هكذا هو الشاعر العُماني سيف الرحبي، عرفنا من كتاباته جبال عمان، التي تشكل سكاناً حقيقية في المكان، وامتداد الصحراء، والبحر، وأسئلة الوجود والعدم، وتلك الذاكرة المنفلتة من زمنها، وهو الشاعر الذي يحمل أمكنته ويمضي على أرصفة الوجود والمعنى، في روحه غصص الدنيا على دمشق وبيروت وبغداد والقاهرة وصنعاء، وهو الشاعر الذي كوّن صداقات في مدن عربية مختلفة، يرى الحاضر الكارثي، والدم المتطاير، فيقول:

«ما حاجتي إلى دعوةِ الماضي، وهو يجثم أمامي مقابرَ تتطايرُ منها الأشلاءُ والأشباح».

ولا يفلت هذا الحاضر من متابعاته وكتاباته وقلقه الذي يجعله مسافراً وهو يتأبط روايات وكتب مختلفة، ويعد كل رحلة يقرأ تلك الأمكنة معتبراً السفر باباً من أبواب السياحة الروحية وعلاقتها بالكتابة، وهو شاعر قصيدة نثر بامتياز، الطفل الذي فتح عينيه على بلدته سرور قريته في سمائل بعمان، حيث الطبيعة الأولى بجبالها وصحرائِها وفضائِها الشاسِع، مستمداً من أمكنته ذاكرة حقيقية ملهمة، مع معرفته بأنه جمال وحشي وكأن الكتابة والشعر نزوع إلى البدء، ولا يسقط من كتابته أبداً هذا الواقع الشاسع بفضائه وقيامته وانزياحه إلى العدم.

في ترحاله بين المدن والعواصم، في الشرق والغرب، يعيش تلك التجربة المتشظية مع المكان، وكأن الأماكن محطات عبور، يبقى منها ما انزاح نحو الإنساني، أو غصة انزياحها نحو الخراب.

وهو الذي حمل نورسة الجنون والجبل الأخضر و«أجراس القطيعة»، يتحدّث عن العزلة والمنفى وعن الذات التائِهة... «رأس المُسافر»، «الجنديّ الذي رأى الطائِر في نومه»، «الصيد في الظلام»، «منازل الخطوة الأولى»، «يد في آخر العالم». يكتب بتصوير سينمائي عالي، وكأنه يرسم الصورة والصوت ومساحة الصمت الشاسعة، ليكون شاعر الربع الخالي الذي يقف بنصوصه أمام الروائي ابراهيم الكوني، وما بين شرق وغرب تكون التجربة نصوصاً مفتوحة على الحياة والأصدقاء والأمكنة، ودائماً يرى الخراب الذي يسور البشرية.

نصوص سيف الرحبي ترجمة حقيقية لهذا المعنى، حول ذاكرة المكان، والعلاقة مع الزمن والشعر والسفر والأصدقاء نفتح صفحة غنية من خلال جريدة وموقع «سبا» مع هذا الشاعر الذي أسس مجلة «نزوى» ويرأس تحريرها، المجلة التي تمتد أكثر من ربع قرن والتي شكلت نخلة ثقافية متفردة في العالم العربي.

• أبدأ من البيت الأول، المكان الذي تشكل فيه وعيك الأول، وسرور قريتك التي قرأناها في «منازل الخطوة الأولى» لماذا نحمل المكان الأول معنا؟

ولدت في قرية «سرور» القرية المحاطة بجبال جرداء أسطورية، درست في الكتاتيب التقليدية، وعرفت بيئتها البرية الصادحة بأصوات الذئاب وبنات آوى والطيور:

«أودية وشعاب
قرى معلقة على رؤوس الجبال
حدائق بابل معادة على شكل كابوس يتدلى من السقف».

في البيت الأول، كانت مكتبة والدي والتي لم تضم سوى كتب التراث والفقه واللغة والتاريخ القديم، كانت المكتبات معدومة في المنطقة، لكن الطبيعة كانت بحد ذاتها أسطورة، فسرور ليست بعيدة عن مشارف الربع الخالي، هذه الصحراء المروّعة، التي وصفها الرحالة البريطاني «ويلفريد ثيسيجر» بأمّ الصحارى، لكن بالنسبة لي مكانياً، ورمزياً، تتحول في الكتابة والنص إلى صحراء كونية، ورمزٍ وجودي للوحشة والعدم.

وتشكّل الجبال حيزاً في المخيلة توازي صحراء الربع الخالي، الصحراء التي تتوزع على أقطار خمسة في شبه الجزيرة العربية.

البيت الذي ولدت فيه، تميز بالانفتاح على الطبيعة، وتلك البيئة القبلية الكلاسيكية الدينية المحافظة، وتتلمذت على أيدي مشايخ وبدأت كتابة الشعر الموزون والمقفى، لأن أي خروج عنه يعتبر مروق وإلحاد، وما زال أصحاب هذا الرأي الظلامي عند رأيهم حتى لحظتنا الراهنة، وبشكل أكثر عنفاً وتطرفاً ولاعقلانية، كانت أول مدرسة في حياتنا الكُتّاب، أذكر المعلم سعود، الذي شكّل علامة من علامات القرية، صورة الرعاة وصوت أناشيدهم على السفوح، وكانت ليالي الصيف تلتئم بالأدب والإنشاد.

لم نكن ونحن صغاراً في مناطق الداخل الحجري من عمان ننظر إلى منطقة الباطنة، ذلك الشريط الساحلي، المتلألئ بالبحر من قرى ومدن وما يوازيه في مخيلتنا من أقاصيص وخرافات أجداد وأحفاد وأسواق سحرة وحروب قادمة من وراء البحار، كل هذا تكوّن في المخيلة كنداء بعيد.

• مَن كان دليلك إلى الشعر في طفولتك؟

حين أقول الطفولة أستحضر الشاعر محمد بن سعيد المخالدي، ذلك الراوي الكبير في (سرور)، أتذكر كيف تعرفت منه على حرب البسوس، وداحس والغبراء، عبوراً إلى صدر الإسلام والعهود اللاحقة، وصولاً إلى القرن العشرين، وكيف كان ينقل الواقعة بإيقاع ملحمي وفني ونبرة صوت خاصة. كنت أسبح معه في هذه العوالم، أتمثل الأحداث في استلهامها من عتمة الزمان والتاريخ والخيال، كانت حلقة الوادي أكثر تأثيراً وسطوة على الذاكرة، ثم انتقلت للدراسة في مسقط، كنا حين يأخذنا النوم إلى سهوبه البعيدة، يبقى البحر الحارس والساهر وسط ذلك الظلام الموحش الذي تقطعه السفن العابرة إلى المحيط الهندي والعالم، كنت بين فجر الرعاة، والصيادين، والقناصين الذين يتوزعون في الجبال في المواسم، ومدرسة السعيدية.

• عُمان الموغلة في الزمن، المُزَنَّرة بالجبال والمحيط الهندي، والصحراء، محيطات كأنها بدء الخليقة، تبدت الطفولة في كتاباتك الجبل الأخضر، شجرة الفرصاد، وكتابات كثيرة أخرى، هل نحن أسرى أمكنتنا؟

أتذكر مدينة «مطرح» حيث البحر والنوارس والحوانيت العتيقة وقصص الغزاة البرتغاليين وتجار الهند والسند وصناع المراكب المتجهة صوب زنجبار ومباسا، وأقول نحن القادمون من الداخل الجبلي، حيث يرتطم الخيال بهيئات السفن وهي ساكنة، وذاك الطفل يتأمل ويسرح بخياله دائماً نحو البعيد.

الطفولة لها دلالات إبداعية كبيرة، والكتابة مشدودة إلى المكان الأول بتضاريسه، بجباله، بحدوسه الأولى، بغرائبيته، ولم ترتهن إلا نسبياً بالمكان الآخر الجديد، ظل عناق الصخرة وجذور الشجرة هو مركز الروح المتشظية في هذا الفضاء المهيب، ظل أكثر انغراساً في الذاكرة التي لم يزدها هذا المكان المترامي إلا عذاباً وتيهاً.

• الشعور بالتيه، يبدو جبلاً في نصوصك، ما الذي أخذك إليه؟ هل هي الصحراء، البحر، أم ماذا؟

أعتقد بأن التيه جاء من شعوري المأساوي بالوجود، بثقل الحياة والزمن، ويبدو أنه قدر المنفصل عن قيم الجماعة والقطيع، ويمكن الزعم أنني انفصلت عن هذه القيم بشكل مُبكِّر مثل الكثير من أفراد جيلي بأماكن مختلفة، وهناك أيضاً الإحساس الوجودي المدمر بمرور الزمن ومأساة هذا العبور، وهذا التغيير وهذا المحو، أتذكر دائماً المكان الذي ولدت فيه التضاريس الجبال الجرداء الشاسعة والموحشة، الكائنات والطيور والمقابر ربما تكون من المنابع الأساسية لهذا الشعور بمرارة الكائن واغترابه وانسحاقه أمام الزمن.

وتذكري أيضاً بقدرة هذا الكائن وجبروته على الصمود رغم الطبيعة القاسية والظروف الصعبة، للعيش والإنتاج والتكيف بهكذا ظروف، وأقول أن الربع الخالي يشبه بقسوته الحالة العربية التي تسود فيها غرائز الانحطاط وترتد إلى ما قبل الدولة، وما قبل الحداثة، وحيث التشظي والطوائف والقبائل.

يبقى هناك انسداد أفق روحي لإنقاذ الكائن من هذا التيه المقلق الذي يعيشه يومياً، خيار العودة إلى الطفولة أحد الخيارات لحماية الكائن من البرد، وأذكر هنا نشيد روسو الأساسي والحلم العودة إلى الطبيعة، والعقد الاجتماعي أحد أسس الحضارة اليوم.

• تقول:
«من أيّ الجهات
يصدح هذا الصوت
بجرف المسافة
كإله غاضب؟
من الماضي أم من المستقبل؟
من كهوف القدماء
أم من ناطحات سماء المدن؟»،
كأنك تحمل في جيناتك جنون الأسلاف في التوق إلى السفر والترحال، مضيت إلى القاهرة مبكراً، ولم تتجاوز الرابعة عشرة من العمر، حدثنا عن المدن والترحال، وتلك الشعرية العالقة بالطريق؟

بالمعنى الوجودي أنا مسافر أبدي، البعد الرمزي والوجودي للكائن أنه في سفر منذ الولادة وحتى الموت، هذه اللعبة القدرية المزدوجة من الصعود والهبوط في الولادة والموت هي التلخيص المكثف لرحلة الكائن على هذه الأرض، تبقى الأسفار الواقعية والجغرافية مسألة نسبية، ربا تفيد وتحفز المخيلة الإبداعية والكتابية وتثري وتغني، وربما في نفس الوقت تلعب دوراً تدميرياً على نحو ما.

السفر وشعرية الاكتشاف كان هاجساً حقيقياً لي، الإقامة والسفر وسيلة لتحفيز الخيال الإبداعي للدخول أكثر في النفس البشرية، ويبقى الإبداع هو الحقيقة الوحيدة، الحقيقة الأولى بالنسبة لي. السفر جعلني أتجاوز الثقافة الغارقة في قيم السلف شعرياً فكرياً ثقافياً، الاحتكاك في ثقافات أخرى، جعلني أقطف من شجرة الحداثة ما يغني الروح.

لوداع الأول

• تتوزع مراحل حياتك حسب الرحلة والسفر، ماذا يشكل لك السفر؟ وما الذي خلخلته القاهرة فيك كمنصة إقامة ودراسة وحياة؟

القاهرة هي التكوين الثقافي والأكاديمي، كان سفري إليها في سبعينات القرن العشرين، بعد أن أنهيت المرحلة الابتدائية في عمان، ما زلت أتذكر ألق تلك اللحظة، كانت سيارة جيب تقف أمام بيتنا القديم الذي ظلت نجومه وأحلامه تلاحقني، وكانت أمي تقف على حافة بئر تلوح بيدها وأنا أصعد السيارة وكأنما ذاهب إلى كوكب آخر.

لم أعد أتذكر من الوجوه في تلك اللحظة شيئاً عدا وجه أمّي باكياً على الحافة، ووجه أبي في المطار القديم، مطار بيت الفلج الذي أصبح من المراكز التجارية في العاصمة.

أتيت القاهرة لهدف واضح وهو الدراسة وهاجس المعرفة، ولا أتصور أن هناك لبساً وتعارضاً بين المدرسة العربية والمعرفة في ذلك الحين. نحن ملك لذكرياتنا وليست هي ملكنا كما يقول (فلليني).

القاهرة هي الرحم الثاني لتكويني، كانت الحاضنة الأكثر طغياناً في الذاكرة العمانية والخليجية والعربية أيضاً، فيها أنهيت مرحلتي الدراسة الإعدادية والثانوية، ثم قسم الصحافة في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر.

في القاهرة قضيت ثماني سنوات، من أجمل سنوات العمر، الخطوة الأولى في نظري هي الأكثر خطورة في تاريخ الإنسان، إنها اللحظة التي تختزل كل شيء باتجاه اللاشيء، اكتشفت نفسي وبدأت أحتك بالآخر وأنشغل بالأوضاع السياسية والفكرية، إضافة لقراءة الشعر الحديث من أمثال السياب وصلاح عبد الصبور وأمل دنقل، والأهم الصداقات مع رموز الفكر والأدب، ولوعة الحب الأول.

عشت في القاهرة مناخ الإيديولوجيات والاتجاهات في حقولها المختلفة، الأدب والفلسفة والفكر والأصدقاء والطرقات، وعرفت معنى السياسة في هذا العالم الشاسع.

• قلت مرة بأن دمشق منصة التأسيس الإبداعي، وباب نحو الآفاق، كيف دلّتك دمشق على هذا؟ وما هي الأبواب التي فتحتها أمامك؟

دمشق ورغم إقامتي القليلة فيها، والتي لا تتجاوز عامين، في ثمانينات القرن الماضي، إلا أنها شكّلت البداية الفعلية للحياة الأدبية، أصدرت عام 1980م «نورسة الجنون»، ثم «الجبل الأخضر»، كانت إقامتي فيها ثرية أدبياً وإنسانياً، أفضت إلى إقامات أخرى أكثر ثراءً، تعرفت في دمشق على جزائريين، الروائي واسيني الأعرج، والشاعرة زكية الأعوج، وتعرفت على ربيعة الجلطي وأمين الزاوي، لينفتح مشهد المسافة والبلدان والوجوه لاحقاً، لا سيما سفري إلى الجزائر الذي شكّل أيضاً محطة مهمة جداً في الوعي والإبداع، وظلت الشام العلامة والمرجع الذي نعود إليه من أسفارنا وتغريباتنا بجوها الصداقي والأدبي الحميم، هناك كان شعراء ونقاد وروائيين عراقيين وكُرد، وعرب، وسوريين مهمين، الماغوط، علي الجندي، يوسف اليوسف، سميح شقير، حسان عزت والغوطة التي جمعتني بكما، اللاتيرنا، الأمسيات والمحاضرات، والمعارض، والجو المشتعل بالأسئلة القلقة.

أتذكر كيف ذهبت بالقطار من حلب الشهباء المدينة الأكثر فرادة من دمشق إلى اسطنبول، كان القطار بطيئاً جداً، قطار يشبه قطارات الغرب الأمريكي (الويسترن)، ومن اسطنبول ذهبت إلى بلغاريا بالقطار، قطار يحمل مهربين ومثقفين وشعراء بلحاهم اليسارية على نمط جيفارا ولينين وهوشي منه، إنه قطار الشرق.

يتبع في ص 4

تتمة الحوار مع سيف الرحبي..

• **تُقَارِب المشهدية السينمائية في نصوصك، وكأننا أمام صور شاعر جوّاب للآفاق، حبذا لو تحكي لنا عن انتقالك من المشرق، إلى أوروبا، لا سيما محطتك في فرنسا، إلى أيّ درجة شكل لك هذا إضافة للتجربة الإبداعية؟**

بعد إقامتي في بلغاريا، مضيت إلى باريس، وأعتبرها ميلادي الثالث إبداعياً، كان هذا في الثمانينات أيام مجلة «أوراق» و«الأزمنة العربية»، عشت طويلاً وعملت فيها مراسلاً للعديد من المجلات والصحف العربية.
سحرني المناخ الثقافي فيها، الفلسفة الوجودية، الحركة السريالية، اكتشاف المدن والأطباق، والصداقات والتردد على المتاحف والجلوس على مقاهي الشانزليزيه والحي اللاتيني والسان جيرمان والسان ميشيل، والأصدقاء الذين هم الغنى الحقيقي لي.
باريس هي باريس التي لا تتغير، بل تزداد جمالاً كلما أوغلت في السنين، وتقدمت صوب دوائر الدهر، تبقى الأثيرة من بين كل المدن للشعراء والكتاب والفنانين، وهو ما كتبته في نص «سنجاب الشرق الأقصى»، هناك مشيت على ضفاف السين، ورأيت الزمن المتجدد والذي يعيدني إلى نهر هيرقليطس، جلست في المقاهي مع أصدقاء يكونون غالباً جزءاً من رحلتي، نشرب ما يحلو لنا ونحكي عن بلاد مظلمة بالحروب.

• **لغة الشاعر وخصوصية الملامح، كيف تشكلت في هذا التجوال المليء بشغف الأساطير والحكايا والتسكع، وصور الذاكرة؟**

في هذا التوق لا بد أن تتشكل عبر هذه المسيرة الزمنية مفردات ومناخات خاصة بالشاعر، وليست مستعارة من مرجعيات أخرى، بالرغم من أن المرجعيات والذاكرة ضرورية، لا نستطيع أن نحكي عن شاعر ضائع في خضم حداثة أو لغة عامة، لا بد أن تتشكل ملامح تمليها الموهبة والمكان بأرواحه وشخوصه ويمليها تأمل الشاعر في تجربته في السيرورة الزمانية والمكانية، وفي موقفه من العالم، والتحرر من الأعباء البلاغية والزخرفة التي يتم كسرها لصالح آفاق تعبيرية أكثر سعة، وتلم شمل هذا الحطام المتشظي في أحداقنا وقلوبنا.

• **العودة إلى النبع الأول بعد ترحال طويل، وتأسيسك لمجلة «نزوى»، المجلة الأهم ثقافيا على المستوى العربي، هل هو الحلم بمشروع في غياب المشروع الثقافي؟**

الشاعر يبقى مشدوداً أكثر إلى مكانه الولادي، عن بقية الأماكن والمطارح الأخرى، في هذا السياق أتذكر عبارة لجوته «**إذا أردت أن تعرف الشاعر جيداً فاذهب إلى بلاده**»، هذه العبارة تشكّل مفتاحاً أساسياً لما نود قوله، لا شك فإن المكان العماني بالنسبة لتجربتي كان جارفاً وحاسماً على صعيد الذاكرة والمخيلة، وكأنما هو البؤرة التي تنبثق منها الأماكن والحيوات الأخرى، طبيعة هذا المكان الملحمية ذلك الجمال الوحشي الفظ وغرائبيته، ربما تكون الأكثر إلحاحاً وسكناً للخيال الشعري وانبثاقاته وإشراقاته.

نزوى الحلم الثقافي:

العودة إلى المكان الأول، جاءت في منتصف التسعينات، عودة إلى مسقط، إلى الجزيرة العربية، إلى صحراء الربع الخالي، وكانت ولادة المجلة الثقافية عام 1994م الفصلية «نزوى»، كانت بالنسبة لي مشروعاً خيالياً، وتواصلت المجلة لتصل اليوم إلى العدد (105).
كانت البدايات إلى حد ما مخاضاً صعباً وليس سهلاً أبداً، لأسباب كثيرة ثقافية وموضوعية وتتعلق أيضاً بالقيم الثقافية والفكرية السائدة والتي تقدس السلف الثقافي التقليدي أكثر مما هي تُشرع أبوابها للعصر، للحداثة، للانفتاح، هذه النقطة كانت إلى حد ما صعبة في سياق تأسيس مجلة تطمح إلى أن تكون منفتحة على التيارات وعلى وجهات متعددة في الثقافة والفكر الإنساني عربياً وعالمياً، هذا الخيار الثقافي والجمالي المختلف، عملت فيه مع فريق عمل يقدر الثقافة كبعد إنساني، ولا بد أن يحمل عبئه أفراد معنيون بخدمة الثقافة العمانية والعربية والإنسانية بصورة عامة.

• **كنت في مرحلة من مراحل حياتك ضد النسل والولادة، هل هو ردّ على الخراب، أم التأثر بفلسفة المعرّي وغيره؟ هل هي العدمية؟**

أنا لا أستطيع نفي كائن حتى لو كان من سلالة الضفادع، فكيف بالإنسان الذي خلق كلّ هذه الملاحم من العنف والصخب والإنجازات العقلية والفكرية والفلسفية عبر تاريخه المدلهم، ولو خيرت لكان ميلي إلى المعري في قوله:

فَليتَ حوّاءَ عَقيمُ غدَتْ لا تَلِدُ النّاسَ ولا تَحبلَ

أو إلى عبارة حارس العزلة سيوران «اقترفت كل شيء باستثناء أن أكون أباً»، وإن نوح لو أحرق الفلك لكان هذا الأفضل والأنجع لمستقبل الحياة، أو لماضيها لا فرق.
ولكن تغير هذا في لحظة ما، وجاءني ناصر وعزان من الفنانة بدور الريامي التي غلبتني بأجمل قصيدتين.

• **كيف تتوافق نظرة العدمي بين الكوني والمطلق؟**

هذا العدمي الذي تتحدثين عنه، والذي لم يجد مكاناً في مرجعيات اليقين والطمأنينة والاستقرار، وطوّح به النأي والشك بعيداً، لم يجد في الأوابد والرموز الأزلية مكاناً ما يستريح فيه، كالجبال والصحراء والبحر، وفي هذا السياق استحضر بيت لبيد بن ربيعة العامري الشاعر الجاهلي:

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع وتبقى الجبال بعدنا والمصانع

«المصانع» هنا منابع المياه ومساقطها، وكنت قد قرأت أن أسلافنا اليمنين كانوا يعبدون الجبال، هذه النزعة ربما تقودنا إلى وعي الهروب من جحيم المجتمع إلى الطبيعة، برموزها الخالدة، لكن ليس بالضرورة على خطى الرومانسية المعروفة بمواصفاتها وموضوعاتها، في تلك المرحلة من التاريخ.

• **العزلة المبدعة وعزلة كورونا: ما بين عزلة الإبداع، والعزلة التي فرضها فايروس كورونا على الكوكب، ماذا تقول؟**

نحن أبناء عزلات متواصلة، بين المدن والقرى والمقاهي والجبال والبحار، لأننا كائنات غير اجتماعية بالمعنى النمطي للكلمة، نهرب من هذا النمط السائد والمدمر للروح، والأشبه بالقطيع على صعيد الرؤية والقيم، نهرب إلى عزلتنا الخصبة بالقراءة، والتي تنبثق وتتجلى منها الكتابة أو مشروع الكتابة.
العزلة هي شرط وجودي واجتماعي للإنتاج الإبداعي وإلى استمرار الحياة أيضاً، لأنه من الصعب الاستمرار في ظل القطعان الاجتماعية الكاسرة خاصة في البرهة الراهنة التي انحدرت فيها القيم الأخلاقية والفردية، إلى درجات قصوى وهيمن فيها نظريات القطيع الذي تسوقه المؤسسات الكبرى، النافذة في العالم، وما يتلقفه العالم العربي بحكم تركيبته السياسية والرسمية السائدة في الأقطار العربية، والتي ستكون نفايات هذه الأنماط وهذه الرؤى وهذه النظريات التي تدمج، وتذوّب الفروق بين الأفراد والجماعات في نمط قطيعي واحد، يدّعي الفصاحة أو يتفاصح عن جهل، يتوهم المعرفة عبر تراكم المعلومات الفارغة، ثمة أوهام تامة ومنجزة حول المعرفة والتفكير والثقافة، وهي على النقيض تماماً من ذلك، من هذا العزلة خيار فكري وحياتي وجمالي وإبداعي.
حين داهم العالم هذا الفايروس وأطبق عليه ككابوس مرعب ومخيف قذف فيه في صالة الانتظار الشاسعة في العالم، وكأنه ينتظر مجهول، بكل التقدم العلمي والتكنولوجي والذي بلغ ذروته العقلانية أمريكياً بدرجة خاصة لم يستطيعوا كبح هذا الفايروس الذي نشر كل هذا الهلع حين بدأ هذا الفايروس كورونا، كنت في تايلاند أنا وزوجتي بدور الريامي، وبدأت الأخبار تتوافد عن يوهان في الصين، ثم انتقلنا إلى مدينة بحرية، كانت مزدحمة بالصينيين الذين يحتفلون بسنتهم الميلادية، كان الجميع يلبسون الكمامات، عدنا بسرعة إلى عُمان، وبعد أسبوعين صار الإغلاق التام، صرنا أسرى البيوت، بدأنا نعالج هذه العزلة القسرية المضاعفة بمزيد من القراءة الكتابة المشاريع الآنية العائلية، طوّرت علاقتي بالتكنولوجيا وبت أتواصل مع الأصدقاء بشكل أفضل، لمجابهة هذا الكابوس المرعب، اعتصمنا بالجبل الأخضر لا سيما في الصيف، الذي يذيب السيف في غمده كما عبر ابن بطوطة، من ستة قرون، رحنا لذرى الجبل الأخضر، المكان الذي تنتمي إليه زوجتي ولادياً وبدأنا نتحرك في السفوح والهضاب، ثم عدنا إلى مسقط، أنجزت كتابا أسميته «في النور المنبعث من نبوءة الغراب، أوراق» 2020م.
ثمة الآن نوع من انتظار قاسٍ أيضاً، جاء اللقاح وتجدد الأمل بأن تأخذ الحياة البشرية سويتها الاجتماعية والحياتية، الفترة قاسية وبدأت تقسو أكثر مع طول الهلع والخوف، وأنا شخص متعود على الرحيل وتغيير الأماكن والوجوه، هو الرئة التي أتنفس منها هواء الحرية هواء الكتابة بدون هذا تكون المأساة الوجودية مضاعفة ومريرة بدرجات قاسية، منذ عام تقريباً لم أتحرك من عمان إطلاقاً، المسألة ليست سهلة أبداً، وأفكر دائماً في منكوبي الحروب وعزلاتهم الأكثر فتكاً ورعباً وقسوة بمئات المرات مما نعيش نحن، في البلدان التي يعم فيها السلم الأهلي، والبعيدة عن العنف المسلح والإبادات والتنكيل أفكر بالملايين من السوريين والعراقيين واليمنيين والليبيين، على المستوى العربي وغير العربي أيضاً، أوضاع هؤلاء الناس تفوق كل توصيف مأساوي عرفه الأدب والتاريخ، في ليالي الحر الشديدة البالغة القسوة، أو في الشتاء البالغ القسوة في ما يشبه العراء الدموي الفاجر الفظيع، شعوب كاملة تعيش في هذا العراء المتوحش تحت أنظار العالم والكاميرات والأقمار الصناعية العارفة بكل التفاصيل والقادرة أيضاً على إيقاف وعدم تمديد هذه المأساة وهو يزيدنا مرارة وقسوةَ عُزلة وألماً.

• **ماذا تعني الكتابة في عالم ينهار؟**

الكتابة جزء أساسي وربما الجزء الأهم والحاسم، بهذا المعنى في هذا العالم الذي ينهار حولنا، ويتصدع ويتشظى في أحداقنا وقلوبنا تبقى مساحة القراءات قليلة وتأتي الكتابة على رأسها وفي مقدمتها.

• **كيف تنظر للجوائز والمهرجانات الثقافية التي تقام في الخليج؟**

أراها عنوانا لثقافة الخواء، للتسويق للكرنفالات، وأعتبر أن تسويق الثقافة المحلية، أمراً ضرورياً، على أن لا يكون بديلاً للثقافة العربية، المهرجانات الجوائز على أهميتها لكنها لا تصنع ثقافة، من حق المؤسسة الإعلامية أن تسوّق ثقافتها، ولكن على ألا تكون ثقافة بديلة، فأعتبر أن هذا مأزق حقيقي.
من هنا أرى أن كل الفضائيات الفاعلة والبرامج الثقافية فيها إما غير موجودة إطلاقاً، أو موجودة بشكل محاصر.

• **ما الذي يبقى من الشعر؟**

لا أظن أن هناك معايير محددة وتصنيفات لتحديد القصيدة التي تترك بصمة، هنا وفي قراءة حرة، قراءة شخوص وأصوات ومشارب ثقافية مختلفة، أذكر ما قاله بورخيس «الشاعر يبقى في بعض أبياته»، هذا القول ينطبق على الشعراء الذين تعززت أسماؤهم، كما ينطبق على شعراء آخرين الذين هم في توقهم إلى تشكيل هوية، الشعر مشروع مفتوح على القراءة والكشف والمغامرة، لهذا الهوية قلقة، وباحثة باستمرار عن مستقر لن تطاله إطلاقاً.
ممكن الركون مبدئياً إلى أقاليم للشعر، ضمن هذه البيئات والأقاليم يكون لكل شاعر بصمة خاصة به.
فالشاعر لا يسمح لنفسه أن يكون صدى لبصمة غيره، بقدر رؤية الشاعر وتواصله مع الآخر، مع القرين الإبداعي، ضمن قراءة خلاقة، وليست قراءة تستعير الناجز، قراءة من منطلق أن الشعر إعادة قراءة للمنجز الثقافي والواقع والتاريخ في صيرورة هذه القراءة هناك رؤيا خاصة تتبدى عليها الرؤية الشعرية والكتابية.
في العالم العربي هناك شعراء أنجزوا النص الإبداعي الذي يحمل البصمة الشخصية ويحمي نفسه من الذوبان من النموذج الشعري عالمياً وعربياً.
الشعر خلق، حياة، شيء يصعب تحديده، لهذا أكتب ولا أنظر لهذه المناخات والعوالم التي تهيمن لتدفع بالإنسان والمجتمع إلى تلك الهوة السحيقة من البلادة والاستهلاك والفظاعات الجهنمية، أكتب بالمعنى الفردي، أكتب لأن الكتابة تخفف بعضاً من ثقل الآلام، وثقل الزمن والتيه، لا أفكر أنني أكتب للنخبة ولا للمجتمع، أكتب لأن الكتابة هي الأجمل مما تبقى في هذا العالم.

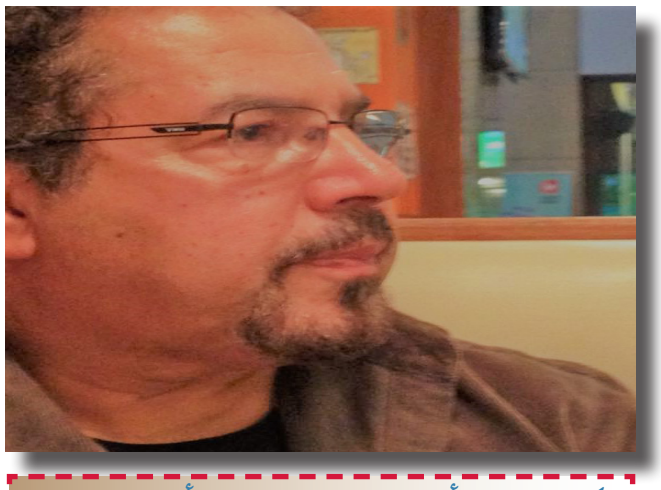

الكتابة جزء أساسي وربما الجزء الأهم والحاسم، في عالم ينهار ويتصدع حولنا

عبقُ كوباني

نافـــــذة الوضع الصحي

حسين محمد علي/ كوباني

تتداخل الصور لدرجة الازدحام في شغف طفولي ممتع حين أعود بالذاكرة إلى تلك السنين ، هكذا هي الأزمنة الجميلة دائماً ، زمن الطفولة والصبا جميل ، هذا ما نتخيّله والإنسان يظلّ مشدوداً إلى البدايات ، والبدايات في نظر الإنسان أجمل من اللاحقات ، هكذا نحرص أن نقعد عند أمسنا بكثير من الحب والحنين .

ترى من أين أبدأ وأنا الغائص في تفاصيل الذاكرة حتى الاختناق ؟! هل ستكون الكلمات قادرة على إعادة رسم ما مضى بالصورة والصوت والحركة واللون وأنا لا أملك إلا الحبر والورق الأبيض؟!

في الوضع الصحي ما أذكره أنّ أوّل طبيب اسمه "ذكار" لم يكن طبيباً بالمعنى الأكاديمي ، قيل : كان ممرّضاً مع جيوش الحلفاء في الحرب الكونية الأولى، واكتسب خبرة عملية في معالجة الأمراض. عيادته كانت في بيت (محمد بديع) ، مدخل الشارع إلى المركز الثقافي . أكثر الأمراض فتكاً كان السلّ «merez» ، وأمراض العيون صيفاً والتيفوئيد والملاريا وبخاصة في منطقة الـ (دشت) ، حيث المروج والماء الراكد والشجر، المكان المثالي للبعوض وغاراته في ليالي الصيف.

أمّا الطبيب الحقيقي بالمعنى العلمي فهو الدكتور(مظفّر العبّاسي) ابن دمشق ، لقد أدمن العيش في كوباني وتماهى فيها ، ترك دمشق وهو ابن نعمة وسليل عائلة عريقة ، قدم إلى البلد عام 1952 ، واتّخذ عيادته وسكنه في بيت (علي باقي) ؛ ليصبح قاموساً بأمراض المنطقة ، يعرف أمراض عوائلها، طبيب فطن مجتهد صاحب النكتة الشامية الناعمة ، وإذا أُثيرت أسئلة بلهاء لا يتورّع عن طرد المريض وحتى ضربه وقد عمل معه مساعداً وممرضاً (حسين علّوش) ، فاكتسب منه خبرة عريضة ، حتى بات في حكم الطبيب، وكان (حسين علوش) من الجرأة والدراية لدرجة أنه كان يتصدى لعمليات خطيرة في عيادة بيته مع الدكتور (مظفر). منها عمليات بتر أقدام وأشلاء المصابين بالألغام التركية اللعينة وفخاخ الموت المتربّصة بالناس حين يغامرون بعبور الحدود. لقد كنت وأقراني شهوداً على العديد من تلك العمليات الجريئة، كنا نسترق البصر من ثقوب باب العيادة لرجل مسكين مسحوق القدم ممزّق ينزف وقطع اللحم تتدلّى .. تقطر دماً، وشظايا العظام متناثرة، تعمل المشارط والمقصّات وحتّى المناشر في تلك الأشلاء، والرجل مغلوب على أمره يصرخ ويتوعّد ، ويستغيث بالربّ والأنبياء والأولياء، كلّ ذلك يجري دون تخدير !

(مظفّر العبّاسي) تدين له كوباني بأكملها ، لقد كان ولا يزال محارباً عنيداً للآلام والأمراض، وقد بلغ من العمر عتيا . وقبل أن أختم سيرة ومسيرة هذا الرجل الحكيم لا بد أن أصف عيادته ؛ كانت بسيطة متواضعة ككل بيوت الناس، كان يرفض مظاهر الترف والأبهة، محبّاً للحيوانات، عيادته شبه حديقة للحيوان ؛ فيها الماعز والخراف وديك الحبش والدجاج والإوز، يستمتع بمشاهدتها وقت فراغه ، كان يربّي كلباً رشيقاً اسمه) فوكس (. قال لي مرة في دردشة ودية : إنه مصاب بمرض سرطان النظر إلى السماء ، وهو يراقب أسراب الحمام تجوب فوق المنازل بكل شغف ومتابعة .

بالتزامن مع مظفّر كان طبيب عملاق هو (إبراهام قسيس) من أرمن قنيّة ، عيادته تقابل بيتنا شمالاً بأشجار السرو العتيقة، بيته هذا من الأبنية القليلة المبنيّة من الحجر الجيري) الكلسي(، هندسة كلسيّة مترفة، قيل لي : إنه كان مقرّاً للمستشار الفرنسي . هو خرّيج فرنسا وزوجته فرنسيّة ، وله ثلاثة أولاد بسيماء أوروبية، كنّا نلعب معهم مع بقيّة أولاد الأرمن ، يعيشون حياة مترفة من طعام وثياب وألعاب ، إبراهام الطبيب مثل مظفّر كان طويلاً أفرع دقيق

> كوباني . . أنت واضحة وغامضة !
> تشبهين قمح الوطن وخبزه وتبغه !

الملامح أصلع قليل الاحتكاك بالوسط ؛ بسبب ضيق الوقت من زحمة المرضى ، ولربّما يعود ذلك إلى انطوائية نخبوية اكتسبها من دراسته في فرنسا، أذكر أنه استقدم في وقت مبكّر جهاز التصوير بأشعة x أو المراية كما كنّا نسمّيه. غادر كوباني أواخر الستينات، وكانت عيادته في حلب مقابل كنيسة اللاتين يؤمُّها أهل البلد بعد ذلك بسنوات ؛ بسبب أخلاقه النبيلة وثقة الناس به .

هذا البيت أصبح بعد ذلك مقرّاً لإدارة حصر التبغ (الريجي) ، وقبل أيام وأثناء كتابة هذا السفر والأحداث التي جرت في سوريا عام 2011 وما بعد، ارتفع فوقه العلم الكردي بألوانه الأخضر والأحمر والأصفر، ولاحقاً أصبح بيتاً للشعب .

في البلدة كان هناك طبيب أسنان أرمني هو (أرتين)، خريج جامعة عينتاب ، كانت عيادته تقع خلف قهوة علوش، تعلم على يده (كريكور)، وبعد أن سافر(أرتين) إلى أمريكا تابع تلميذه (كريكور) مهمة علاج الأسنان ببراعة وحرفية متقنة، صنع القوالب ومارس الخلع وتلبيس الذهب. في تلك الأيام لم تكن هناك صيدليات، الأطباء هم من يصفون الدواء، ويقدّمونه في عياداتهم ، وكان المريض يبقى مقيماً لدى أقاربه مع ما يعني ذلك من أعباء وعدوى ومشاهد مقزّزة، المريض كان يذهب للطبيب يومياً لأخذ الجرعة إلى أنْ يشفى أو يأتي الله أمراً كان مفعولاً . وأول مَن فتح صيدلية صيدلانيٌّ من حلب هو) الشاذلي (. وكان ذلك في أواخر الستينات؛ وهي صيدلية صغيرة في دكّان صغير ضمن حوش (حسين علوش) ، ثم تتالت الصيدليات . ومنها صيدلية (جميل بركات)، وكانت ملكيتها لـــ (مصطفى مجوز) صاحب صيدلية حلب في شارع القوتلي بحلب وصيدلية (لوران) وله صيدلية الوطن في حلب في حيّ السليمانية في زاوية الشارع الرئيسي.

وتكملة للملفّ الصحي للبلد كان ثمة نسوة يمارسنَ مهنة الطبّ وبخاصة طبّ العيون والكسور وعلاج أمراض الأطفال ، تارة بخلائط الأعشاب ، وحيناً بالسحر والشعوذة. ومن اللائي مارسن طبابة العيون السيدة (فهيمة والدة الحاج عيسى) ؛ وهي أرمنية بالأصل لكنها أسلمت.

و(رحيمة والدة شيخ موس)المشهور في البلد بدكان العطارة والبذور. كانت المذكورتان تعالجان العيون بعقاقير كاوية مؤلمة بألوان فاقعة كالأحمر والأزرق والبرتقالي . وبالنسبة لنا كان اصطحابنا إلى أولئك محنة وعقوبة تستدعي منا الهرب أحياناً وإطلاق رشقات من المسبّات بسبب الآلام من تلك الأدوية.

وللأمانة فإن أمراض العيون التي كانت تستشري في آواخر الصيف وبدايات الخريف قد تمّ القضاء عليها بفضل دواء البنسلين الفعّال من قبل الطبيب مظفّر، وقد تخلّصنا من جحيم فهيمة ورحيمة وعقاقيرهما الكاوية . أما القابلات الولّادات ففي كل حارة ولاّدة (بيرك pîrk) ، أشهرها كانت "فاطو غزالة" ، وكانت امرأة عطوفاً خبيرة ذات أصول أرمنية ، ولكنها أسلمت ، وعُرفت بالتقوى والورع .

كلّ هؤلاء وغيرهم عاشوا فوق هذه الأرض ، تركوا بصماتهم وتواقيعهم لنا، ذكرهم يثير فيَّ حنيناً موجعاً ، ففي كل غيمة أمطار طفولتي ! وفي كل مساحة تراب أثار أقدامي ! وفوق كل حجر توقيعي وتواقيع الذين أدوا أدوارهم فوق هذا المسرح ورحلوا إلى غير رجعة ! فآهٍ مما عرفتُ ومما تعرّفت عليه !

الطبيب: مظفر العباسي

القضايا المخنّثة في رواية «خيط واهن» وتأويلاتها الإشكاليّة

إدريس سالم

مَن المُخنّث؟ ولم الهروب؟

تخنّث عضويّ وآخر نفسيّ وثقافيّ واجتماعيّ وسياسيّ، وما بينهما من تجانس أو تنافر قصّة حبّ تلقى حتفها سرياليّاً، ووطن يتشرّد داخل مجتمعاته وقضاياه المخنّثة. إيروتيكيّة مفرطة حاضرة بطغيانها في مشاهد سينمائيّة. مجتمع لا يقدر على تحديد هويّته بنفسه. أرواح خنثى وأخرى مركّبة. حقوق منهوبة هنا وهناك. مراسلات عاطفيّة وفلسفيّة للبقاء على قيد وطن لم يبقَ منه شيئاً. تغلغل لا زال معهوداً في الطرح والمعالجات. استسلام لبلادة العقل العشائريّ ومفاهيمه الشرقيّة المتناحرة في رجعيّتها. لغة شاعريّة متوتّرة وقلقة في استعاراتها ومجازاتها، تحرّك دهشتها الجامد والمنتصب وتستنطقه. عوالم فنّيّة جماليّة. سرد يركب عنق الحبكة في إطالات مستعصيّة، ومتوازيات مترنّحة في إداناتها وتبريراتها. رواة يلعبون على الحبال. شخوص عبثيّة فوضويّة وملعونة بتصدّعاتها وانكساراتها وهلوساتها. زمكانيّة مفتّتة ومفكّكة...، والكثير من التأويلات الإشكاليّة التي تحملها «خيط واهن»، وتثقل الكواهل.

بعد أن خاض برفقة «شاهو وهتاو» صراعاً عقيماً في أحضان الرياح والجبال، مع الرصاص والحرمان والكبت كرّاً وفرّاً، فوُلِدت روايته «الأوتاد»، ليتعالى بعدها أصوات المآتم في روحه، حين استظلّ بخراب «هيمَن» وجرأة وشجاعة «مَانو»، فنطقَنا بآلام رواية «هيمن تكنّسين ظلالك». وها هو اليوم ينطلق بنا نحو رحلة غريبة عنه كروائيّ، وعنّا كقرّاء ونقّاد، فيفكّك طلاسم ثنائيّة الجنس في شخصيّة أحد أبطاله، ويسقطها على عدّة جبهات تأويليّة، فلا يرمي خيوطاً واهنة فحسب، بل شِبَاكاً مقهورة مضعوفة، ليرفض أن يتناول طرائق تعامل الشرع مع الخنثى أو مَن يعانون من اختلالات النمو التناسليّ «ماذا يوجد في فردوسك هناك؟ لا شيء إلا العدم!» (صفحة 89)، ليكتفي تناولاً اجتماعيّاً نفسيّاً فيزيولوجيّاً.

يقول جان بابير: «كلّهم يودّون أن يملؤوا جسدي بالعواء والنباح».
ويقول أيضاً: «كان لزنار وجه جميل وروح أجمل، وخلقته يا ربّي في أحسن تقويم كما بيّنتَ في كتابك وشرعك، وهل سماؤك تحتاج إلى روح لتعذّبه روحي هنا وأنت لديك ملايين الأرواح منذ الخليقة؟ لماذا منحتني الذلّ؟ هل يعني أنك تعلو بمجدك على أطلال عذاباتنا؟ لماذا أعاتبك وأنا هجرتك منذ زمن؟ لن أعود إليك، ماذا يوجد في فردوسك هناك؟ لا شيء إلا العدم!».

يبني الأديب الكرديّ جان بابير من خلال (170) صفحة، وبطريقة الاسترجاع الفنّي «فلاش باك» أحداث روايته «خيط واهن» النفسيّة الاجتماعيّة – الصادرة عام 2020م عن دار «آفا» للنشر والتوزيع في مدينة كوباني/ سوريا – من النهاية إلى البداية، فيسرد القصّة من خلال وجود «تاجين» الخنثى، الذي لا يشبه الآخرين؛ إذ في داخله أنثى، إلا أنه يقلّد الرجال بعمله وهندامه وسلوكه اليوميّ، نتيجة سيطرة المجتمع الذكوريّ، خلال فترة بقاء «بَريشَان» معه في منزل كبير وحالة اجتماعيّة ميسورة، فتسيّران القضايا والأحداث والمواقف الشائكة، وترصدان الزمكانيّة، ونتيجة الفراغ الكبير الذي تعيشه بَريشَان مرغمة، يجعلها تلجأ إلى قراءة رواية، تتعرّف من خلالها إلى كاتب يدعى «محمد خان»، وتقرّر أن تكتب عن حياتها على شكل رواية بمساعدة خان.

هكذا تبدأ القصّة وتتشابك القضايا بين التخنّث واللا تخنّث، لتنطلق من مدينة كعق، والتي رمز بها إلى المدن الكبرى في غربي كردستان «كوباني – عفرين – قامشلو»، حيث تبدأها بَريشَان الفتاة الحالمة العاشقة والمثقّفة بكتابة الرسائل إلى محمد خان، الذي كانت تعشق كتاباته، إلى أن تزوّجته وأكملا حياتهما في كوخ بأعلى جبل ما.

انهضي يا هِيزَا (بَريشَان):

«كانت تحت بصر الربّ مباشرة، تمارس أشياء أبعد من قناعاتها المكتسبة؛ لتشيد مزاجيّتها المطلقة كمنظومة أخلاقيّة تخصّها وحدها دون كلّ الناس».
بَريشَان ابنة حمو الظالم والجاهل. تسهر لدرجة الإفراط؛ ملعونة بعشقها للقراءة والكتابة. تقيم في مدينة كعق، بعد أن أجبرت على ترك الجامعة في قسم الآداب وهي في سنتها الثالثة. عشقت زنار، ومارست جنون الحبّ وطقوس الجنس معه. حلّ موته المفاجئ اغتيالاً في الخدمة العسكريّة على روحها كارثة وخراباً، لتتزوّج لاحقاً من تاجين، الذي حطّم ما تبقّى منها بإصبعه؛ بأن جعلها ألعوبته ورقّاصته، مهدّداً إيّاها بالفضيحة، لتقول في نفسها: «الدم هو الختم الشرعيّ على الفرج، هو حبر الحقيقة الذي تُدوّن به سجلات الشرف؛ ليمتلك كلّ طرف الآخر في دورة الزواج واستمراريّة الحياة». باتت معه شبه حيّة وشبه ميّتة، فأصبحت قطعة أثاث منزليّ. بَنت لنفسها عالمها الخاصّ؛ إذ كانت تتقمّص عادات وأفكار الشخصيّات في الكتب التي تقرؤوها. رأت زواجها كعقد قران كاثوليكيّ؛ لتسكن مع خنثى تحت سقف العادات وسوط الفضائح. خانته خيالاً آلاف المرّات مع عشيقها الشهيد، بينما كانت تتأوّه على الفراش المجعّد من السبّابة والوسطى. شخصيّة

مركّبة من انفصامها لصراعاتها وتصدّعاتها النفسيّة، وضعفها واستسلامها لواقع العادات والتقاليد الاجتماعيّة، إلى عاطفتها الغزيرة التي تأخذها إلى الخيال، يسحبها نحو الذاكرة حيث أزقة دمشق والهواجس واللحظات الجميلة، إلى شخصيّة مثقّفة توعويّة قويّة.

اسم يتدحرج بين المذكّر والمؤنّث (تاجين):

«أنا الآن تاج الدين، وبعد ساعة سأكون غيره بتصرّفاتي وسلوكي، الآن نبرة صوتي المقلّد الخشن تختفي، تشبه حالة الفصام، ويحلّ محلّها صوت رفيع حادّ كالشفرة، ربما لامرأة جميلة تسكنني، ولسنوات طويلة بدت تلك الفكرة ساذجة ومضحكة، ألّا تكون أنت، إنما شخص آخر داخل ثيابك».
تاجو أو تاجين أو تاج الدين. سمين. طويل. ضخم الجثّة. خنثى؛ نصف ذكر قوّاد ونصف أنثى عاهرة. يعاني في تركيبه الفيزيولوجيّ خللاً غير طبيعيّ، حيث عجنته تلك التركيبة على السادومازوشيّة، إذ يصارع حالته هذه كلّما تعلّق الأمر بالحبّ والجنس. عانى صراعاً نفسيّاً مريراً مع أسئلة لا إجابات لها، في عالمه الذي يقوده مجتمع أُمّيّ متخلّف. بعد أن عرفت «رَوشَن» ابنة عمّه بحالته، الأمر الذي أدّى إلى فشله في ممارسة الجنس معها، ليتقمّص شخصيّة رجوليّة هشّة. أنّبه ضميره، فأخبر صديقه «سعيد» بقصّته وسرّه، ليهيّأ لزوجته سهرة معه، الذي مارس معها الجنس عدّة مرّات.

وحدك الأمل (محمد خان):

«اللقاء كان في حديقة فيكتوريا في أثينا، يتجسّد كلّ ذلك أمامي، الوقت كان خريفاً، التقى طاعنان في الألم على أرصفة الغربة، كظلّ وضوء اختلطا، لا وجود للظلّ بلا شمس، وجدنا معاً ليكون كلّ واحد منّا معنى للآخر».
كاتب وروائيّ كرديّ. مقيم في ألمانيا. مؤلّف روايتي «حبّ في شارعنا الخلفيّ» و«ما وراء الشاشة». أدمنت بَريشَان على قراءة رواياته لتأثّرها بها، فواظبت على مراسلته «هل هو جان بابير نفسه؟ وفي المقابل من الواقع مَن تكون بَريشَان؟».
دخول خان الذي يملك فلسفة خاصّة بالحياة والإنسانيّة إلى عتبة النصّ كان غامضاً. تزوّج منها، فعانقت زنار فيه. قرّر مع بَريشَان التي لجأت إلى أوروبا بعد وفاة تاجين بحادث سير، هرباً من سبع سنوات عاشتها اشمئزازاً وإكراهاً مع إصبعه، للعودة إلى قرية «مزار جان»، فتتحوّل هناك إلى «هيزا»، الإنسانة المبعثرة على عدّة أماكن، فتكمل بقية حياتها معه بحبّ وإخلاص ووفاء، بعيداً عن ضجيج مواقع التواصل الاجتماعيّ وأحقاد البشر.

تأويل العتبة الروائيّة:

إن التلاعب العميق في تقنيّة الراوي من حيث انتقال الفقرات والفصول على لسانه (الكاتب نفسه)، أو على لسان الراوي الضمنيّ (أبطال الرواية)، أو بالراوي الطارئ (الحوارات) أرهقت وأدهشت الرواية في نفس الوقت، خاصّة وأنه مزج الأسلوب بالسرد النمطيّ والمراسلات، فلكلّ راوٍ حديثه وطريقة قيادته لما يجري وسيجري.

الرمز كان سلاحاً ذي حدّين في هذه الرواية، التي كانت تتمايل بين الإطالة السرديّة المشتّتة لتدفّق الفكرة، والإرهاق الفكريّ العميق الذي يقودنا بأن عقليّة المجتمع الكرديّ في مدينة «كعق» أو مدن غربي كردستان هي عقليّة مريضة بحاجة إلى عمليّات جراحيّة كثيرة ومعقّدة في القلب والروح والفكر والعلم والمعرفة، وحتى الاقتصاد والسياسة، فرمز بتاجين الخنثى إلى الخنثى الحقيقيّة والكاذبة، ألا وهي المجتمعات المتخلّفة، التي تفعل الشنائع والفجائع في العلن والسرّ، تؤمن بالحبّ وعلى الواقع تزرع المواجع، ترفع إخاء الدم سلاحاً وفي الشدائد تخون وتحتقر وتفرّق، ليصرخ جان عبر كلّ فصوله وشخوصه وتقنيّاته، في أن نتجنّب إنجاب هكذا مجتمعات، وأنه لا خلاص لنا من حاضرنا البائس وماضينا المظلم إلا بأن نجعل القراءة طقساً من طقوس العبادة.

وفي تفاصيل إصبع تاجين تكمن أولى بذور المعاناة والقضية الجوهريّة، حيث يؤكّد بابير أن هناك شريحة كبيرة من المجتمع الكرديّ خاصّة والمجتمعات السوريّة بشكل عامّ وُلدوا ونقص وتشوّه أصابهم، حيث أن بعضاً من أعضائهم لا تقوم بوظيفتها، وثنائيّة الجنس أو الخنثى هو ثنائيّ الشكل؛ يتأرجح بين أعضاء ذكريّة وأخرى أنثويّة، فأراد أن يرصد هذه الشخصيّة جسداً ورمزاً في آن واحد، ويسقطها على الحالة الاجتماعيّة والسياسيّة لمجتمعه؛ وأن إلحاق المدن الكرديّة بدول محتلّة تشبه حالة زواج بَريشَان من خنثى.

نقطتان أرهقتا العتبة الفكريّة:

عانت قضية ثنائيّة الجنس المطروحة هنا (وهي مرض أو خلل وراثيّ ناتج عن عدم الانفصال الكرُومُوسُومي أو الصِّبغِيّ، والذي من شأنه إحداث هذا الاختلال بالصفات الوراثيّة للمولود الذكريّ)، من فكرتين غير مفهومتين لم يوضّحهما الكاتب، الأولى: لربما قارئها وعلى طول صفحاتها يسأل ويستغرب من أنه كيف لم يشعر أهل تاجين بخنوثته، وخاصّة أمّه التي كانت تغسّله وترعاه لأكثر من عشر سنوات، أيعقل أن أهله إلى هذه الدرجة جَهلة وأُمّيّون، ولم يشعروا يوماً بوضع ابنهم، أو يلاحظوا عليه أيّ ملامح أو سلوكيّات تدلّ على خنوثته؟
الثانية: هي عدم خوض الكاتب لتفاصيل بدء علاقة التعارف والتواصل بين بَريشَان ومحمد خان، وأيضاً بين بَريشَان وزنار، ولاحقاً بينها وبين تاجين، فغاب الاسترسال السرديّ عن ولادة هذه العلاقات، التي اتّسمت بالإبهام والإشكال، ولم تقنع القارئ.

لغويّاً، حاول بابير أن ينفذ في هذه الرواية من لغته الشاعريّة ورفضه المطلق لتغييب التعابير والمشاهد الإيروتيكيّة عن لغته أسلوباً وصورة سينمائيّة، لكنه فشل، ليقول: هذا أنا، الحرّ في ذاته وحياته وقلمه، وإن كنت لا تريدني، فاحترمني وغادر عالمي. بذلك الكلام يؤكّد لنا أنه لم يقصد بالإيروتيكيّة الحالة الجنسيّة السائدة، وليس العضويّة البيولوجيّة، ولا العلميّة أو البورنوغرافيّة، ولا حتى الشعبيّة الشفهيّة، بل الإيروتيكيّة الجماليّة، الروحيّة من الجنسيّة، والعاطفيّة من العلميّة، والوصفيّة من العضويّة، والشعوريّة في البورنوغرافيّة، وأخيراً العشقيّة من الشعبيّة الشفهيّة.

يتبع في ص7

تتمة الدراسة في رواية خيط واهن ..

نزيف الذاكرة

أفين أوسو

كلاسيكيّة، ولكن:

«خيط واهن» هي رواية ممزوجة بأدب المراسلات، ولو بشكل متفاوت، أو بطريقة جديدة قديمة، فقد انتشرت هذه الظاهرة الأدبيّة الجميلة في القرن العشرين، كتلك التي راسل بها الأديب الألمانيّ فرانتس كافكا للصحفيّة والكاتبة التشيكيّة ميلينا يسينيسكايا، من خلال كتاب «رسائل إلى ميلينا»، وأيضاً المراسلات العاطفيّة في كتاب «رسائل غسّان كنفاني إلى غادة السمّان»، حيث نشرته الأديبة السوريّة غادة السمّان، محتوية على مراسلاتها مع غسّان كنفاني، كما وُثقت قصّة حبّ بين جبران خليل جبران ومي زيادة، عبر رسائلهما المتبادلة، جُمّعت في كتاب «الشعلة الزرقاء»، لتتميّز بعدم لقاء بطليها على أرض الواقع، وأيضاً «رسائل إلى فيرا»، الذي ضمّ بين دفّتيه رسائل الكاتب الروسيّ فلاديمير نابوكوف إلى زوجته الكاتبة والمترجمة الروسيّة «فيرا نابوكوف»، والكثير من المراسلات العاطفيّة والفلسفيّة والفنّيّة التي جمعت بين الأدباء والفنّانين والفلاسفة.

باختصار: الخيط الواهن هو الخيط الذي لا يريد تاجين قطعه والتخلّص من وهنه، بأن يجري عملية جراحيّة، تفضي إلى حياة صحّيّة سعيدة ومتصالحة، رغم فجائع المجتمع ومستنقعات (القيل والقال). الخيط الواهن هو الخيط الذي لم تتمكّن بَريشَان التحرّر منه، فتحاول الهروب من ذاكرة زنار، إلا أن الذاكرة لعنة – فضيحة تلاحق الإنسان حتى بعض مماته. الخيط الواهن هو الخيط الذي يتشبّث به سكان مدينة كعق «أبناء الرياح والجبال»، خيط الجهل والأمّيّة، وفقدان الهويّة وعدم الوصول إليها، خيط تغيير العقليّات والسلوكيّات المجتمعيّة العدوانيّة، بمعاصرتها للواقع الجديد. الخيط الواهن هو خيط الحزن والتعاسة والصفعات والاستسلام لقدر جائع مسعور.

فيما يلي، اقتباسات – أقوال وردت في الرواية التي أفضّل «هيمن تكنّسين الظلال» عليها؛ لغياب المتعة الفكريّة والتشويق اللغويّ وبعض الكوميديا الساخرة، وارتأيت أن أنهي بها قراءتي الأدبيّة هذه:

- النار مع النار لا تفلح.
- كلّهم يودّون أن يملؤوا جسدي بالعواء والنباح.
- ترتدي الحزن لباساً داخليّاً، والبؤس لباساً خارجيّاً.
- حتى في يأسها لم تذكر الله.
- الجسد يهلك، والمخيّلة في مجد نشاطها.
- إن فتحت رؤوس نصف سكان كعق لوجدت في كلّ رأس عشر نساء عاريات.
- اليوم عرفت كيف كان أجدادنا يسجدون للشمس؟ أنت شمسي، وعرفت حكمة الفلسفة من الأصابع، والتصوّف من نهديك، واكتشفت صوتي؛ كيف يغنّي الحبّ والوطن؟!
- القبلة كما مفهوم الربّ ليس لها تفسير.
- الدم هو الختم الشرعيّ على الفرج، هو حبر الحقيقة الذي تُدوّن به سجلات الشرف؛ ليمتلك كلّ طرف الآخر في دورة الزواج واستمراريّة الحياة.
- كان لزنار وجه جميل وروح أجمل، وخلقته يا ربّي في أحسن تقويم كما بيّنتَ في كتابك وشرعك، وهل سماؤك تحتاج إلى روح لتعذّبه روحي هنا وأنت لديك ملايين الأرواح منذ الخليقة؟ لماذا منحتني الذلّ؟ هل يعني أنك تعلو بمجدك على أطلال عذاباتنا؟ لماذا أعاتبك وأنا هجرتك منذ زمن؟ لن أعود إليك، ماذا يوجد في فردوسك هناك؟ لا شيء إلا العدم!
- بربّك الذي هناك ماذا يعني غشاء البكارة؟ اسأله!! إن كان جريمة فلماذا أوجده؟!
- الكتابة تشبه ضخّ دماء جديدة في جسد على وشك الموت والنسيان.
- الأتراك يشبهون عضوي الضامر الغريب، الذي زُرع في هذه المنطقة بلا انتماء وبلا جذور، وحتّى أنهم لا يملكون لغة القذف!
- أنا الآن تاج الدين، وبعد ساعة سأكون غيره بتصرّفاتي وسلوكي، الآن نبرة صوتي المقلّد الخشن تختفي، تشبه حالة الفصام، ويحلّ محلّها صوت رفيع حادّ كالشفرة، ربما لامرأة جميلة تسكنني، ولسنوات طويلة بدت تلك الفكرة ساذجة ومضحكة، ألا تكون أنت، إنما شخص آخر داخل ثيابك.
- كانت تحت بصر الربّ مباشرة، تمارس أشياء أبعد من قناعاتها المكتسبة؛ لتشيد مزاجيّتها المطلقة كمنظومة أخلاقيّة تخصّها وحدها دون كلّ الناس.
- النساء يشبهنَ المدن، منهُنّ جميلات ومُنتظمات، وأخريات مهملات ومحتلّات كمُدن جغرافيتنا المتردّدة على حدود دولتين ورجلين.

طيفُك خلفَ البابَ يوشوشُني:
«يا أنايَ اقتربي
انتعي النسيانَ، واتّبعيني
أنا وهنٌ في بعدك،
ووصلُك ترياقُ سمومي».
أرتجلُ عن صهوة قلبي
فألجمُ السمعَ عن حواسي
أثبّتُ حدواتِها باللامبالاة
أحنّط ملامحَك الدقيقةَ على هيئة قصيدةٍ؛
لأتبارزَ ضدّ خيولِ الذاكرةِ.
شيطانُ حبّك أستعيذُه كتابةً
تتخمُ حجرتي بأوراق ممزّقة
مكوّرةٍ على صرير الأبجديةِ.
تسيلُ ملامحي على الورق، تتعرّقُ يداي
وكأن داحوساً تبرعمَ بينَ أظافري
يلوي عنقَ الكلماتِ... وعنقي
أتداعى سطراً سطراً
أتلثلثُ بينَ الخطوطِ
يتعثّرُ القلمُ، أنحني لرفعه
تصطدمُ جبهتي بقرميد الخيبات
وتنزفُ الذاكرة؛
لتتلطّخَ الروحُ بلزوجة الكبرياء...
أتهاوى بينَ مثقلةِ الحنينِ، ولا أحدَ يسلو عني
أتذكّرُ كم من السقوط عانيْتُ مراراً!
كم للقياك قدّمْتُ نذراً!
لأستقيمَ عجالاً وألتفتَ حولي بذعر
أتحسّسُ جراحي المقدّدةَ
أنتحبُ حتى الصباح
تتعربدُ نكهةُ الخذلانِ شفتاي تجرُّني النزعة.
كم كنْتُ يا أناي أمضي إليك كلَّ مساء!
والسؤالُ يرتجفُ في فمي عنك
بقير أدمعي أعربدُ الطريقَ الثلمَ من خطى حنيني.
وأنت يا خطيئتي الأبدية
بقيْتَ برمادي تنفخُ متعالياً
تشرعُ بابَك يوماً، وتوصدُه شهوراً
أرجو وصلَك، مُدلفةً تحتَ إبطِ شرقيتك
فيا شجرةَ التوتِ الشهيةِ
أنا كنْتُ أوراقَك المصفرّةَ
والخريفُ فرضياتٌ واهيةٌ
مزّقْتُ صورَ إثمِ ملامحِك ذاتَ صباح وأشرعْتُ النافذةَ؛
لتحملَك عني بساطٌ للرياح
لكن السماءَ كانَتْ بالغيوم حُبْلى، خشيْتُ عليك من البلل
وثغاءُ مولودِها المقمّطِ على الشبابيك أدمى قراري
أودعْتُك بصناديق قلبي المبحوحةِ اشتياقاً
تصاولْنا عمراً في معترك البقاء
كانَتِ المعاركُ بينَنا سجالاً
سيفي كان الحبُّ، وسيفُك الخيانة.

استأذن ذاكرتك... واكتب

سمير بوعزيز / تونس

نفكر بواسطة اللغة. لكن كيف نكتبها؟
ماذا لو كتبنا كل ما نقوله سراً أو علناً؟ ماذا لو جعلنا كل دقات القلب مكتوبة، وكل دقات العقل ندوّنُها نصاً كتابياً حاملاً لكل ما ينبض؟

يستلزم الأمر لجوءاً كاملاً للذاكرة فيما سجلته وفيما هي بصدد تسجيله. قد تستفزك رائحة عطر، أو قبلة ماتت منذ سنين، تتلمس قبرها على الشفتين، وتسترسل في الحكايا. تكون حينها متألماً، فتكتب ما "يُؤلم" ويُحزن، أو حالما شبه مبتسم، فتكتب قولا هائما على عادة أجدادك و تنثر لغة مزهرة وورداً وألواناً مضيئة.
قد يستفزك صوت الخطيب من الجامع المجاور للمقهى، وهو يدعو لكل الذين حكموا من شيوخ وعساكر، ويدعو لهم بدوام العز، و يدعو للشعوب بدوام الطاعة. فتكتب كلاماً ساخراً، أو شاتماً ومحرضاً، ثم تطوى الورق جيداً تحت ثيابك، وتخفيه خشية وتقية (وتقول مع القائلين: آمين. وفي سرك: عليكم اللعنة أجمعين).

قد تكتب بسبب ألم في المعدة، أو وجع في الرأس، أو لقلة النوم... تكتب هرباً من روائح الورق الذي تقرؤه بحكم العادة.. تكتب ما يعكسه وما يشطبه وما يلغيه وما (قد) ينفيه. فتنقده وتمزقه بضده، وتمارس الغيبة على كُتّابه، وتحاول أن تتوقع حالاتهم وهم يكتبون، وهم ينسخون من النصوص القديمة فيبدلون ويعدلون ويستشهدون و "يُشهدون" على نصوصهم لبيان صحتها ولإلقاء جبة "المرجعية" عليها، ولتأكيد علمهم بقول الأولين.

... وقد يأخذك النص الذي تقرأ لعوالم من جنسه، فتحاول أن تصنع ما صنع أصحابه.. قد تحاول أن تكتب بقية النص، إضافة أو تتمة لما لا يكتمل (فالنصوص الجميلة غير منتهية).

قد تعلّق بأسفل لسانك وقلمك، حيث يسيل لعابك للذة ما قرأت (وفي أسفل الأشياء ما فيه أكثر لذة، وإلى أسفل النصوص وخواتمها ما يجعل قراءتها لهاثا نحو آخرها).. ونحن نلهث مع النصوص الجميلة إلى منتهاها، لكننا نادرا ما نعيد قراءتها... وأنزعج (شخصيا) من التعليق التالي: نص جميل، وقد أعدت قراءته عديد المرات.. هل تشرب كأساً لذيذة عديد المرات (مثلاً).

قد تكتب بـ "الرغبة"، وفي ذاكرتك أنك ممن يكتبون، تحاول أن تقدم رأياً. تُعيد على مسمعك (أسفل الروح حيث أنت ولا أحد غيرك، حيث لا يسمعك أحد، تحدّث نفسُك نفسَك) ما عرفت وما سمعت وما أحسست (به) في لحظات علمك بالشيء (أي شيء)، وتجرّبه مكتوباً. تعمل على ترتيبه وصناعته حروفاً وأصواتاً مفكّرة مُعلنة أمراً.. قد تكون نصوصاً محاربة تنزل من علياء اللغة لمعركة.. هي معركة ذاكرتك مع أخريات بكل ما ترسّب فيها من أفكار وأحاسيس وخدوش وجراح.. بكل ما انتابك من نوبات، كل ارتعاشات يديك و أنت تسمع كلاماً [كلام طفل، أو عجوز إلى جانبك في قطار، أو أمك توصيك (قبل عقود) بقضاء حاجيات من السوق، أو كلام مدرس (ما) في أحد سنين عمرك، أو كلام إمام، أو مؤبن ميت في زنازة...]، أي كلام (لا يهم) مفيد في لحظة الكتابة، ولا تعلم على وجه الدقة ما هي الجملة السابقة التي أفادتك في لحظتك تلك.

صدقوني (إن أردتم)، هكذا يكتب الموظف الإداري البيان الحكومي أو الخطاب الرسمي. لعل ذاكرته تتسع لما أبعد، لكن ذاكرته الشخصية هي التي تعمل على جمع أجزاء اللغة. ربما يجعل ذاكرته متسامحة، إذا ما طلب منه ذلك. و ربما تكون الذاكرة ديمقراطية أو دكتاتورية (طيبة أو شريرة). لعله أيضا يدوّن نقاطاً من وحي ذاكرة آمره فيلصقها بذاكرته، لكنه ينطلق من لغة هي فيه محفورة ولائطة به، بما رآه في عمره وما عاشه وأكثر ما قاله سراً وعلانية.
وهكذا يكتب الصحفي، بعد أمر رئيسه، أو بعد سماعه ما تناثر من أخباره، أو مشاهدته الحدث. إنه غير قادر على تنفيذ هذا الأمر بشكل تام، أو بالشكل المطلوب أو بالشكل الذي كانت عليه الأحداث (إن هو نقلها).

ثم، لماذا لا يكتب الأدباء والمبدعون في كل اللحظات، ويشتد الجدل بخصوص "لحظة الكتابة". لأن لحظات اللاكتابة أكثر، وهي (أي الثانية) أكثر حضوراً في يومه.. إن الواحد من هؤلاء يستحق حدثاً "ذاكرياً" مزلزلا، يُحيله من حال لأخرى.
ليس ضرورياً أن يكون (حدثاً) كبيراً. يكفي مثلاً أن يمرّ عليه وجه يشبه وجها يعرفه، وجها ترك فيه أثراً طيباً أو سيئاً.. يكفي أن يسمع اسماً لشخص يذكره بآخر. يكفي أن يأتي عليه نسيم كيوم لا ينسى،، هي الذاكرة الكاتبة ما لا ينسى، وما يرجع (في الغالب) دون إذن، ودون قرار.
ولعل البدايات والنهايات مُحفّزة على الكتابة لأنها تفعل في الذاكرة فعل الحياة بالساكن.. بداية الشتاء أو نهاية الصيف، أو يوم ربيعي بلا سابق مُؤشّر على قدومه... صوت الرعد، أو ريح في الخلاء، أو مطر على غير موعدها...

ثم، من قال أنّ مشهداً تلفزيونياً لا سابق له، يعني أن كل ما في النص المُعلّق عليه كل جديد؟
اللغة ذاكرة نحن فيها، تخرج في كل مرة علينا بما لم يسبق، كأنه لم يسبق. لكنه يشبه شيئا قديما. يخرج من شيء (أو أمر) قديم. يجعله مطية للقول، مدخلا للعبارة، طريقا لـ "النزول".

إنما نكتب ما نعلم، وما قد علمنا.. فقط هي اللحظة التي تتغير، والمُحفز هو الذي يتجدد.
وصحيح أن الخارج عنّا مُحدد. كأن تشعر بالحر أو البرد، بالجوع أو التخمة، تنقصك حاجة أو يزيد أمر عندك على الحاجة...

وصحيح أيضاً، أنك تكتب أحياناً مفكراً في من سيقرأ أو أنك بينك وبينك لحين، لا توجّه قولك لأحد.
هذه أمور تُحدث فوارق شتى، وقد تغيّر وجهات النص. ومهما كانت ايجابية أو سلبية (بتقدير معياري) فإن للنص حالة أخرى: قد يكون جيدا في أسوأ حالات كاتبه (أو لحظات كتابته).

إن أردت أن تكتب، وواجهت الورق خال من الأفكار، ابحث عن أي شيء في الذاكرة، أرسمه في خيالك.
وقد يكون من المفروض أن تكتب نصاً سياسياً ولم يستحضرك من قاموس المسألة أمر، انطلق من ذاكرتك بأي مشهد أو صورة. من الممكن أن تكتب في السياسة وأنت تستحضر آخر ثوب داخلي لمسته!

نداء لا متناه

عبد اللطيف الديب

انغمس في كرسيّه الخشبي يكبكب قلبه المتناثر ما بين ضفتي الحرب والسلم؛ يقصّ عليه نبوءات المراكب الساخطة على موانىء الرقيق وتجارة الياسمين. انفطر قلبه ألماً وكرباً، وتدحرج فوق رصيف ذكرى الطريق المؤدية إلى حيّه المجندل ما بين الغوطتين. يهرع وراءه منادياً:
يا قلبي الكامد... خذني معك... أموت معك... أعيش معك!
يجيبه: إلى لقاء قريب.

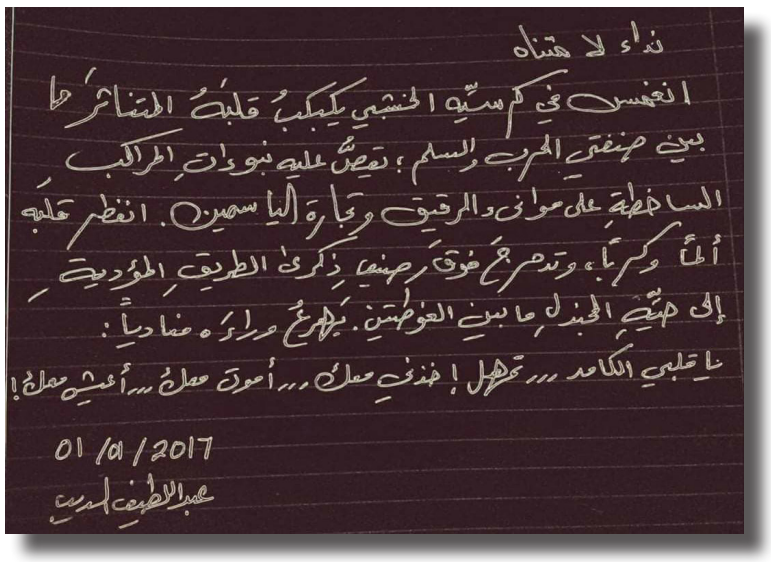
نداء لا متناه
انغمس في كرسيّه الخشبي يكبكب قلبه المتناثر ما بين ضفتي الحرب والسلم؛ يقصّ عليه نبوءات المراكب الساخطة على موانىء الرقيق وتجارة الياسمين. انفطر قلبه ألماً وكرباً، وتدحرج فوق رصيف ذكرى الطريق المؤدية إلى حيّه المجندل ما بين الغوطتين. يهرع وراءه منادياً:
يا قلبي الكامد... خذني معك! أموت معك... أعيش معك!
01/01/2017
عبد اللطيف الديب

متشائل

اصطفوا عند سفح الجبل الأشم؛ تعاهدوا على الوصول إلى قمته سوية. هبت نسائم البركات تدغدغ حلم السمو المحلق عالياً وتأهبت القمة بموكب مهيب جليل، وفتحت ذراعيها كأوسع من سماء. غرقوا في أحلامهم الباردة فتسمرت الأقدام حتى ردموا تحت رمال الأمنيات المتناثرة هنا وهناك. تقول الشمس: أنا أشرق كل صباح بانتظار وفد جديد.

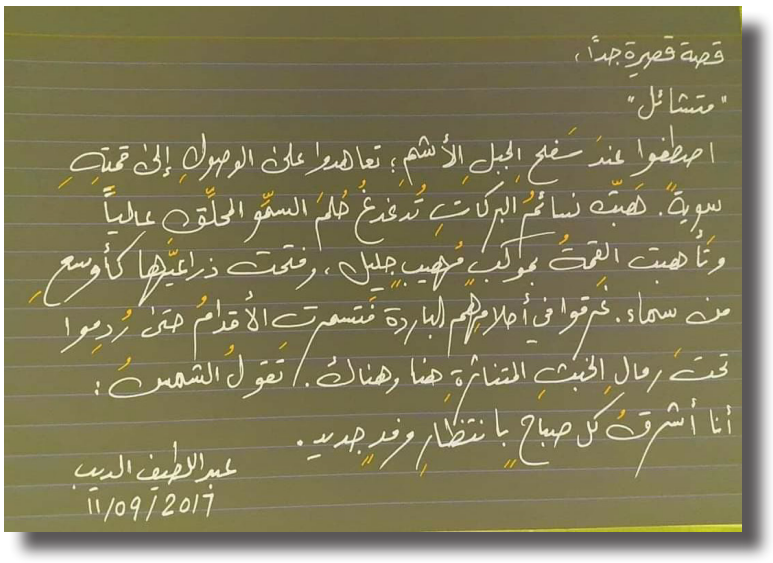
قصة قصيرة جداً
"متشائل"
اصطفوا عند سفح الجبل الأشم؛ تعاهدوا على الوصول إلى قمته سوية. هبت نسائم البركات تدغدغ حلم السمو المحلق عالياً وتأهبت القمة بموكب مهيب جليل، وفتحت ذراعيها كأوسع من سماء. غرقوا في أحلامهم الباردة فتسمرت الأقدام حتى ردموا تحت رمال الأمنيات المتناثرة هنا وهناك. تقول الشمس: أنا أشرق كل صباح بانتظار وفد جديد.
عبد اللطيف الديب
11/09/2016

رائحة أخرى للرحيل

رنا سفكوني / سوريا

أنا لا أنوب عن الذين قرؤوا تاريخ أمتي، ولا أحمل لهم عناوين أجدادهم، أولئك الذين فقدوا هوياتهم على مفارق الروح وحدهم كانوا يعلمون أن مَن يسكن مدينة لا تشبه روحه سيعتزل البكاء والفرح الطويل.
منذ أعوام وهم يغربلون أقدامهم بين رصيف وآخر.
لا أنا كنت قادرة على خطى مقذوفه على شوارع فارغة من قناديلها، ولا المدينة سكنتني.
يا أنا ووجعي الطويل كحبل أمي السري... أمد على أصابعي ليل من أحب وأشتهيه مدينة لا يسكنها سوى الجنون...
عبث ما أحلم به..
أستيقظ ولا أرى في ظلام المدينة سواك ناهضاً تعرش على ما بقي مني... وكنت كغيرك من الذين أسرجوا خطاهم وعدوا على أصابعهم ما بقي لنا من الأيام..
لربما رحيلك أسهل من بقائنا متأرجحين بين شارع وآخر للوقت..
سأقذف بهذا النبض بعيدا وأشرع روحي للاشيء وأعد الحكايات لينطفئ الغياب..
أرسمك كما كنت منذ سنين قادما نحوي تسحب ذراعي إلى كتفيك وتقطف توتك البري من عرائش نبتت على جسدي في الغياب..
لا ترحل صورك من ذاكرة خضبها حسنك، ويداي مازالتا معلقتين على انحداراتك
كم من المرات دربت أصابعي على رسم تفاصيل ذلك الجسد، حتى بات الضوء لا معنى له..
أشتاقك يا أنا مغمضة على كل الشهوات إلاك.
أين أنت من غربتي...؟
حزمت حقائبك الصغيرة وخطوت نحو مجهولك.
لا ظلك يمتطي حلمك
ولا حلمي يسرج الانتظار
يا أنت كم تخضبني بالشوق الكثيف لك في برد أيامي.
يا أنت وأشتهي أن انضواء روحي تحت حنينك..
فلتعد
ولتسحبني من أمام مرايا رسمت حاجبي مطولا أمامها..
ها أنا أهيئ قميص ليلنا وأنقع الياسمين بالشهوة..
وأرسم شفاهنا على حافة القلق.
أحبك
فلتنحن على جنوني
ولأفترش الهواء سريرا لجسدينا
أحبك
بعدها لتنتهي كل الحكايات ويهرم الله في سكونه.
وأطفئ خاتمة عمري بقولي
أنا الغريب الساكن على فاصلة الوقت
والجسد النابت في عتمك.

وأنتِ بنفسجة القلب

ملاك لع / بيروت

أمامَ المجازِ فتاةٌ
تنقّي الوعودَ من الوهمِ.
كانا معاً يوم قالَ:
على صدركِ التينُ يطلعُ مُرّاً ولا يستوِي
فاحملي الحزنَ عنّي...

أنا سيّدُ الأرضِ
والناسُ نوعانِ: وردٌ وطينٌ
وأنت بنفسجةُ القلبِ...
بعدَ غدٍ سوفَ آتيكِ بالتينِ
فانتظريني بلا كللٍ...
وإذا حطَّ بيني وبينكِ عندَ النوى أرقٌ
صالحيهِ معَ الليلِ قد يأنسُ النومَ
ما أصعبَ الحبَّ لولا التأنّي...

تمرُّ السنينُ...
يحينُ الحصادُ...
ولكنّهُ التينُ يأبى بأن يستوي!
قلتُ ما خذلَ الحبَّ غيرُ التمنّي.

أنا جاهزٌ للفراقِ
ورائي خريفٌ منَ الذكرياتِ
يدا عاشقينِ يسيرانِ في ولهٍ
«عانقيني...
أحسُّ الوجودَ غريباً بلا جسد امرأةٍ
تنزعُ الشوكَ منّي
فإن جُرحتْ تتركُ الوردَ لي
ثمَّ تمضي بلا عتبٍ نحوَ خيبةِ
ظنّي...».

أُعيدُ الحنينَ إلى البيتِ فجراً
يدي تنزفُ البردَ
لا شكلَ للبردِ...
إنّ كلينا بعيدٌ
فكيفَ تصيرُ البيوتُ طلولاً
ويستوطنُ الحبُّ في غيرِ حضنِ؟

يعلّمني النضجُ كيفَ تنفَّسَ قلبيَ
رغم الثقوب ولم أعِ
لا صوت للقلبِ وهْو يضيءُ
الندوبَ على جسدي نجمةً نجمةً ثمَّ
يبكي...

لذاكَ اتخذتُ البياتَ رسولاً
وأومأت بالريحِ:
يا... جرّحيني على مهَلٍ ربّما
يصبحُ الثقبُ ناياً
فيوحي ليَ الشعرُ: غنِّ...

أُجالسُ موتاً كئيباً وأسأله:
هل تريدُ إذن عملاً آخراً
كالزراعةِ؟
قال: بلى
ذاتَ يومٍ دعاني صبيٌّ إلى دفنهِ
قائلاً:
إنَّ عيبي البرودةُ
لو أستطيعُ البقاء لعشرِ دقائقَ قرب
الجنازةِ حيثُ البكاءُ هنا ساخنٌ
سوفَ أفهمُ حزني!

- وما الحزنُ؟
- أسطورةُ الماءِ
شوقٌ تكثّف في قلبِ أنثى فأصبحَ نهراً
ودمعٌ تكثّفَ في جفنِ أنثى فقلتُ:
ولا يصبحُ البحرُ بحراً إذا هاجرَ الملحُ.

رفيقانِ...
شعريَ والجرحُ...

قاضي الإعدام

مصطفى تاج الدين الموسى

عندما رجع القاضي المتقاعد من رياضة الجري صباحاً إلى بيته، عثر على كُتيب صغير داخل صندوق البريد في مدخل البناء.
تصفح أوراقه على عجل وهو يصعد الدرجات، انتبه لوجود صور شخصية لمجرمين تم إعدامهم خلال مهنته الطويلة كقاضٍ، أعلى كلّ صفحة، وبعض المعلومات عنهم في الأسفل.
لم يهتم القاضي كثيراً، وخمّن في سرّه أن شعبة الإحصاء في القصر العدلي قد أرسلتْ له ولبقية الزملاء هذا الكُتيب، ضمن نشاطاتها المعتادة.
رمى الكتيب لا مبالياً على مكتبه ثمّ أخذ "دوشاً" دافئاً، وجلس مرتدياً برنصه القطني، يتسلى بإلقاء نظرات سريعة على عناوين الجرائد، مع كوب شاي ساخن.
بعد ساعة، وما إن جلس القاضي المتقاعد في مطعمٍ قريب ناوياً تناول طعام الفطور، حتى اقترب منه رجلٌ غريب، عندما وصل إليه صفعه بلؤم، تحسس القاضي خده متألماً ومندهشاً، بينما الغريب يميل إليه ليقول له بحقد:
ـــ أنا المجرم عواد يحيى، أعدمتني منذ ثلاثين عاماً، ولو أنكَ لم تحكمني بالشنق آنذاك، لكنتُ قد عشتُ لأموت هذا اليوم في ظروف طبيعية، كان يجب أن تعثر على حلٍّ آخر لي غير الشنق، رجعتُ إلى الحياة في اليوم الذي كان يجب أن أموت فيه طبيعياً، لأعيش الثلاثين عاماً التي حرمتني منها، وسوف أمضيها بصفعكَ كلما شاهدتكَ، لقد حلّتْ عليك لعنة المشنوقين...
ابتلعته ثيابه وهو يراقب الرجل الغريب يمضي مبتعداً، بينما الحيرة تفتك بملامح وجهه، لم يتناول القاضي المتقاعد فطوره، إنما رجع مسرعاً إلى بيته وثمّة شعور غامض يتجول داخله، وكأن جسده بيتٌ مهجور يتجول داخله شبح.
التقط ذلك الكُتيب عن طاولته وهو يلهث، قلّب الصفحات بأصابعه المرتجفة، ثمّ انتبه لصورة الرجل الذي صفعه توّاً وكانت في الصفحة الرابعة وأسفلها بعض المعلومات عن هذا المجرم.
"المتهم عواد يحيى، قاتل، تم إعدامه في تاريخ كذا وكذا.
ملاحظة: لو أنه بقي على قيد الحياة لتوفي في ظروف طبيعية بتاريخ كذا وكذا".
ارتجف جسده رعباً، التاريخ الوارد في الملاحظة يوافق هذا اليوم فعلاً، هذا الكُتيب ليس من صنع مكتب الإحصاء في القصر العدلي، إنه من صنع الشيطان، سقط أرضاً على ركبتيه، كان يحاول أن يفهم ما يحدث له، شيء لا منطقي رشّ ضباباً سميكاً في عينيه، ومن عينيه تسلل هذا الضباب إلى داخل دماغه.
احتفظ بهذا السرّ لنفسه، خشي أن يخبر أحد أصدقائه فيصفه بالجنون، مرّت الأيام وعواد يحيى يعترضه حِيناً بَعْدَ حِينٍ، ليسدد إلى وجهه صفعة قاسية.
بعد أسابيع قليلة اعترضه رجلٌ آخر في الشارع، صفعه وهو يزعق بحقد:
- أنا ميمون عبد القادر، أصدرتَ حكماً بشنقي منذ سنوات، ولو أنني لم أمت شنقاً وقتذاك، لبقيتُ على قيد الحياة حتى هذا اليوم لأموت بشكلٍ طبيعي، رجعتُ إلى الحياة لأعيش السنوات التي حرمتني إياها، ولأمضيها بتوجيه الصفعات لوجهك، تباً لك، كان عليكَ أن تعثر على حلٍّ آخرلي غير الشنق.
ذهب ميمون مع صدى ضحكاته، بينما القاضي المتقاعد ظلّ مرمياً على الأرض بعد الصفعة القاسية التي تلقاها، يتأمل السماء، كانت السماء غامضة، كانت الغيوم في الأعلى تتخذ أشكالاً لا تشبه أيّ شيء.
جرّ رجليه إلى بيته، وفي الصفحة السادسة من الكُتيب عثر على صورة ميمون عبد القادر، ثمّ قرأ أسفلها المعلومات التالية:
"المتهم ميمون عبد القادر، قائد عصابة، تم إعدامه في تاريخ كذا وكذا، لو أنه بقي على قيد الحياة لتوفي بشكلٍ طبيعي في تاريخ كذا وكذا".
أيضاً، في هذه الملاحظة، انتبه القاضي المتقاعد إلى أن التاريخ الذي كان يجب أن يموت فيه هذا المتهم بشكلٍ طبيعي، يصادف يومه هذا تماماً.
- أيّ شيطان صنع هذا الكُتيب؟
ردّد وحلقه جاف، أغلق الكُتيب وراح يضرب به جبينه، ضربات هستيرية، صار يهذي، وينطق بكلمات غير مفهومة، مشى مترنحاً تتقاذفه أشياء بيته حتى المطبخ ليشرب الماء.
في الأشهر التالية صار سجين بيته،ونادراً ما يغادره، يرمق بخوف هذا الكتيب وكأنه كابوس ينوي أن يُفقده عقله، وكأنه وحش من لحم ودم ينوي أن يفترسه، صار يدخن ويشرب القهوة، ولطالما في حياته سابقاً كره التدخين والمدخنين والقهوة وشاربي القهوة، كان ينحل ببطء وذقنه تزداد كثافة ببطء أيضاً، بينما عواد وميمون يعترضان طرقاته على قلة خروجه من بيته، ليصفعاه بقسوة، ثمّ يمضيا بلا مبالاة.
صار ينحني لساعات على الكتيب، يدقق بتلك الملاحظات المقتضبة تحت كلّ صورة من صور المجرمين المشنوقين في كل صفحة، يدقق بالتاريخ المفترض للوفاة الطبيعية، ليستنتج متى سوف يرجع إليه هذا المجرم أو ذاك... كان يهمس في عزلته الداكنة: إنه الكُتيب المقدس لشياطين الجحيم، هذا الكتيب لعنة مرعبة حلّتْ عليّ.
ظهر ثالثهم بعد أشهر لينضم إلى عواد وميمون بهواية صفع القاضي المتقاعد، باغته في مدخل البناء، كان وجه القاضي المتقاعد شاحباً، همس مستسلماً لقدره المؤلم:
- أنت المتهم جابر عيسى، أصدرتُ بحقك حكماً بالشنق منذ سبع سنوات، ولو أنكَ بقيتَ على قيد الحياة، كان يجب أن تتوفى اليوم في ظروف طبيعية، وها أنت الآن ترجع إلى الحياة لتعيش السنوات التي حرمتكَ منها، وتقضيها بصفعي.
- الزملاء المشنوقون وفروا عليّ شرحاً طويلاً، كان عليكَ أن تعثر على حلٍّ آخر لي غير الشنق.
قال له جابر عيسى بكراهية، وهو يسدد صفعة قاسية قذفتبالقاضي المتقاعد مترين خلفاً.
مثل طفل مقهور، بكى وهو يزحف على أطرافه فوق الدرجات ليدخل بيته.
يوماً بعد يوم لا شيء يفعله سوى الاستلقاء على سريره، والبكاء لساعات، والتوسل للأشياء كلها أن تساعده، التوسل لله والأنبياء والقديسين، التوسل للسماء، ثمّ التوسل بجنون للمزهرية، للخزانة، للنافذة، للسجائر، لفناجين القهوة..
البارحة صار يهذي بأن توسل لصنبور الماء، ودائماً كان يتوسل لهذا الكُتيب، وللمجهول الذي صنع هذا الكُتيب علّه يرحمه.
كان يلمح دائماً من نافذته عواداً وميموناً وجابراً يتمشون بين العابرين في الشارع.
المشنوقون بسبب أحكامه كقاضٍ خلال عقود، سوف يرجعون الواحد تلو الآخر، في الأيام التي كان يجب أن يموتوا بها بشكلٍ طبيعي، ومجرمٌ بعد آخر، سيصير وجهه عاصمة للصفعات في هذا الكوكب الملعون.
قبل نهاية هذه السنة، رنّ هاتفه عدة مرات في المساء لكنه لم يرد، في الرنين الأخير أخذ القاضي المتقاعد السماعة بوهن إلى أذنه، ليتحدث متعباً.
- مرحبا يا حبيب "قال الصوت مستهزئاً" انتظركَ منذ الصباح أمام بيتكَ ولم تنزل حتى الآن، أنا قاسم حميد...
- أعرفكَ –تنهد بحسرة، ثمّ أردف القاضي المتقاعد بدموع صامتة – لقد حكمتكَ شنقاً منذ عقدٍ ونصف، كان يجب أن تعيش حتى اليوم لتموت بشكلٍ طبيعي، وبمناسبة موتك الطبيعي الذي لم يتم الآن، رجعت إلى الحياة لتعيش ما فاتك من سنوات بسبب شنقي لك.
- كان عليك أن تعثر على حلٍّ آخر لي غير الشنق، أنتظركَ في الأسفل مع الشباب، لا تتأخر يا حبيب...
قبل أن يغلق السماعة صفق قاسم بكفيه بقوة جانب الهاتف، فارتد وجه القاضي عن السماعة، وكأنه فعلاً قد تعرض توّاً لصفعة قاسية.
لأيام، حتى ليلة رأس السنة، كان يلمحهم من نافذته، يتجولون بين الناس في شارعه، عواد وميمون وجابر وقاسم.
فكر بشكلٍ جدي أن ينتحر خلال هذه الأيام، وهو ينقل بعض المعلومات من الكُتيب على ورقة بيضاء، عندما انتهى تأمل من فوق سيجارته الورقة التي انهمك بكتابتها لساعات... استنتج أنه في العام الجديد الذي سيحل منتصف الليلة، سوف يرجع إليه ثلاثة مشنوقين غير الأربعة الذين يتجولون في الخارج الآن.
- لم أعد أحتمل... "رددها بأسى"
لساعات شعر أنه يختنق، كان متأكداً أن صاحب هذا الكُتيب قد لف حول عنقه حبلاً غليظاً، عندما أرسله إلى صندوقه البريدي، حبلاً لم يشد إلى آخره، ليختنق ببطء ولا يموت.
ضاق صدره به فنزل ليمشي بين الناس حتى ساحة المدينة، حيث كانوا يحتفلون بوداع العام القديم واستقبال الجديد. لم يعرفه أحد من الناس، فقد تغير شكله كثيراً، بدا قريباً بهيئته من المتسولين.
فجأة، انتبه القاضي المتقاعد في الازدحام لعواد،التقط فوراً سكيناً كانت على طاولة بائع الحلوى، وأسرع يتصادم بالناس حتى عواد ليطعنه، ميمون كان قريباً فطعنه أيضاً، ثمّ لمح جابراً فهرول إليه ليطعنه، أما قاسم فطارده حتى شارع قريب وطعنه بوحشية، والناس يتراكضون حوله ويصرخون بخوف.
حاصره بعضهم وقيدوه، كان يهذي والدماء تنقط منه، جاءت الشرطة وأخذته.
استمرتْ محاكمته لأشهر، تابع أخبارها أهل مدينتنا في التلفاز والجرائد، كانت قصة غريبة، قاضٍ متقاعد يختفي عن الحياة لمدة قصيرة، ثمّ يرجع ليقتل أربعةرجال بطعنهم ليلة رأس السنة في ساحة المدينة.
القاضي الشاب في محكمة المدينة حكم عليه بالإعدام.
لم يأبه القاضي العجوز المتقاعد للحكم، ردد عالياً في الجلسة الأخيرة للمحكمة بعد نطق حكم الإعدام شنقاً بحقه، ردد مبتسماً بثقة للقاضي الشاب:
- سوف تندم عندما أرجع إليكَ، كان عليكَ أن تعثر على حلٍّ آخر لي غير الشنق.
وأخذوه مع ضحكاته المجنونة إلى حبل المشنقة.
الذين نفذوا حكم الإعدام شنقاً به، قالوا للصحفيين مستغربين أنه تعامل مع المشنقة دونما اكتراث، وشنقه كان بالنسبة له مجرد تدخين سيجارة.

عزيزي القارئ، انتهتْ قصتنا هذه هنا، وقد حدثتْ فصولها في مدينتنا منذ فترة قصيرة، لكن... انتظر، لا تذهب.
عزيزي القارئ، أرجوك، هل تستطيع أن تقدم لي معروفاً؟...
أتمنى أن تساعدني، أريد منكَ فقط إن كنتَ تعرف العنوان البريدي لأيّ قاضٍ آخر في القصر العدلي أن تخبرني إياه، لأرسل له هذا الكُتيب، الذي انتهيتُ توّاً من صناعة نسخته الثانية.

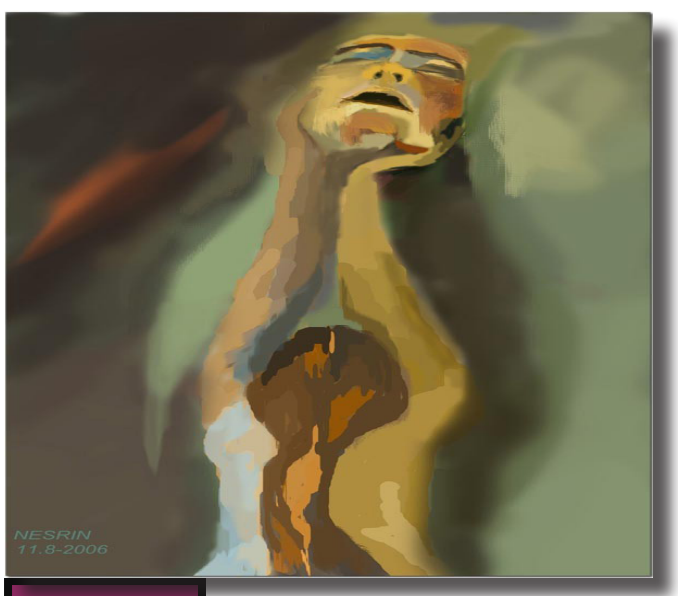

رواسب اللبن

طقوس التشظي

خديجة بلوش

أستيقظُ كما تفعلُ بقيةُ النساءِ، أُرتبُ غرفاً ضاقت بأحلامِ ساكنيها وأزيحُ الغبارَ عن ملامحَ ظلّت معلقةً بينَ الفرحِ الشحيحِ والحزنِ الباذخِ لعقود، أتحاشى المرورَ بمرآةٍ وحيدةٍ في الفناء، قيل لي إن المرايا تجلبُ البؤسَ والشياطين.

- لا تُزيّني بيتَك بالكثيرِ منها.
- حين يصبحُ لي بيتٌ سأفكرُ بالأمر.

أسمعُ النصائحَ من امرأةٍ تساقطت أسنانُها الأماميةُ كلُّها ولم تبلغْ بعدُ الخمسين فأسأل نفسي هل بعد حزمةٍ من السنواتِ سأصبح مثلَها؟ أتجاهلُ صهيلَ الأصواتِ الكثيفةِ داخلَ جمجمتي، فأنا وحيدةٌ بأيّ حالٍ وما من تفاصيلَ قد تخففُ من هذه الشكوكِ داخلي.

- لستِ وحدَكِ...

الصوتُ يزورُني بين الفينةِ والأخرى، حين أكونُ بأشدِّ حالاتي وجعاً، حين يخنقني الألمُ فلا أقوى على التنفسِ، جسدي الذي أرهقتْه الصَّباحاتُ والمساءاتُ المتكررةُ للتسكّع.

- لستِ وحدكِ. أنا معك.

أتجاهلُ الصوتَ ما استطعت، أتجاهلُها، أتجاهلُني، ولكن لم أجدْ بعد صيغةً ناجحةً لأتجاهلَ تعبي وهذا الوهنُ الذي يقطفُ أجملَ لحظاتي تباعاً.

- توقَّفي عن إرسالِ كلِّ ما تكتبينه للعابرين ليومَك.
- أنا أُنظِّفُ ذاكرتي... لا أكثر.
- فهمت الآن، تُلقين بما تجودُ به قريحتُك على قارعةِ فضولِهم.

أرفع رأسي عن الكتابِ الذي مددته منذ ساعات على صدري، أجوبُ المكانَ بنظرةٍ وجلة، من أين يأتي الصوتُ الأخرقُ الذي يقضُّ صمتَ وحدتي؟ ما من أحدٍ في الجوار، فقط أنا وبضعُ أجسادٍ مُسْجاةٍ على أسرةٍ كئيبةٍ بأغطيةٍ قذرةٍ وحشرجاتٍ لمنكوبي الوقت، يستعرُ وجعُهم لِيَلتهمَ الصمتُ الذي كنتُ أرتجلُه.

- لا يليقُ بكِ هذا المكانُ، تعالي معي.

الصوتُ نفسُه بيقينٍ أكبرَ يطاردُني، لستُ مجنونةً، لا أتخيَّلُه، هو واقعٌ ألمسُه كما ألمسُ ندوبي البشعة.

- مَن تكون؟
- وكيف عرفت أني لست أنت؟
- صوتٌ خشنٌ وعميقٌ لا يمكنُ أن يكونَ صوتي، حتماً أنا لستُ رجُلاً.
- تعجبُني ثقتَك بنفسك.
- شكراً على الإطراء.

بيني وبين نفسي أعرفُ أنَّ الإطراءَ فعلٌ أكرهُه، ما زلتُ هنا في كنفِ الصباحِ المتأخرِ أحاولُ ترتيبَ فوضى نفسي وفوضى المكانِ الذي يحتضنُ نُفوري من ذاتي، مِن وضْعِ كلما حاولتُ أن أقصَّ الشوائبَ عنه تناسلَ كما نباتٍ متسلقٍ بغيضٍ.

- سأستغلُّ حضورَكِ المقتضبَ.
- حبذا لو تفعلين.
- سأرسمُك داخلَ إحدى فقاعاتِ حلمي، قد تنفجرُ الفقاعةُ ويختفي اسمُك، وقد ترتفعُ في فضاءاتِ هوسي وأقدرُ نظرتَك، لن تضحكَ الآن، أنت خيالٌ محض، هكذا أُحدثُ نفسي حين يغيبُ الصوتُ عن مسامعي، لكن مشكلتي تكمنُ في لحظاتٍ قد تتجسدُ فيها كاملاً كما كانت الأخرى تفعل.

- احم... احم. أنا لست هي.
- أعرف. أنت شخصٌ بغيضٌ تستمرُّ في التلاعبِ بخيالي

السَّاذج، كانت الأخرى فتاةً مجنونة.

- هيَّا ارسميني، وأخبريني كيف أبدو في عقلِك الباطن.
- أخبرني أوّلاً عن عمرك.
- لنقل إني بمثل عمرك، أو أصغرُ قليلاً.
- إلى أيِّ حدٍّ قد تبدو أصغر؟
- تخيلي.....
- لا أريدُ التورطَ مع طفل.
- هاهاهاها...

تتسابق أناملي لترسمَ نصَّاً مقتضباً قد يشبهُك، تنهمرُ الكلماتُ فأغرقُ في نصٍّ متناهٍ، متطرفٍ، بلا حدودٍ تردعُه.

- فشلت.
- طيب. هل تحبين أن أتقمصَ شيئاً تحبينه كي تراني أناملُك الخائفة؟

لم أكن ضريرةً كي أراكَ بحواسي الأخرى، أنا في كاملِ ترهلِّ وعيي لكني أجيدُ التكهُّنَ بحرفٍ ما أن يطأ علبةَ بريدي الصغير، أتسللُ كي أقفَ أمامَ المرآةِ الوحيدة، انظرْ إليّ، كي أراك، نظرتي التي تشبهُ بركةً عسليةً والبياضُ الذي يشوبُه الاحمرارُ، أنفي الذي يشبُه قطعةَ رخامٍ ضخمةً (تقول أمي إن أفظعَ ما قد يُبتلى به المرءُ أنفٌ مثل أنفي الذي تجدُه ضخماً بشعاً). حاجباي العريضان، وشعري الذي كان طويلاً، تختفي جدائلي في المرآةِ كي تصيرَ خصلاتٍ قصيرة، تتلونُ نظرتي بلونٍ أغمق، يختفي الاحمرارُ ويرتسمُ أنفٌ آخر، تكتسي لحية كثة وجهي.

- لستُ طفلاً، هذه بدايةٌ جيدة.
- هل أعجبُك؟
- مغرور أيضاً، لكن المرآةَ ستتصدّعُ الآن وستمزقُ الشّظايا وجهي، وحنجرَتي.
- لا تغيري الموضوع.
- أنت روحٌ أخرى، تتقمصُني.

أنسحبُ من أمامِ المرآةِ قبل أن أرى شيئاً أكثرَ ممَا تسمحُ به طاقتي على تحملِه، لستُ بمزاجٍ جيد، الكتابُ يتراقصُ على تراتيلِ نبضي المتسارع، لم أغادرِ السريرَ وما زال الصراخُ يعوي في المكان، والأسِرَّة الأخرى تُصدرُ مزيجاً من موسيقى جنائزية.

- الموتُ ليس سيّئاً.
- توقفْ عن التحدّث إلي لو سمحت.
- الموت شيء جميلٌ لو تجربينه.
- وهل أعودُ للحياةِ إن لم أُعجبْ بما اقترحتَه علي؟
- تملكين روحَ دعابة.
- وأنت شخصٌ لا أستطيعُ التكهّنَ بما يمتلك.

أُغمضُ عيْناً وأتركُ الأخرى مفتوحةً على كلِّ المساحاتِ المتاحةِ لحدودِ تأمّلي، ما زالت الغرفُ تئنُّ بأحلامٍ تتكدسُ منذ سنوات، والمرآةُ الوحيدةُ تنهبُ من لحظاتي ما تشاءُ لتؤرّقني بها في لحظةِ تقمُّصٍ لشبحٍ ما أو طيفٍ شريد، كنتُ أسألُ نفسي عن السنواتِ الطويلةِ التي سبقت هذا الاكتشاف.

- اكتشافي لأشخاصٍ يسكنونني.
- ماذا كنتُ أفعل، بما كنتُ أشعرُ، كيف كانت لحظاتي تمرّ؟

أتذكرُ الآن أني كنتُ أستحضرُ بعضَ مخاوفي كلّما استغرقْتُ في النّوم، كنتُ أحاولُ أنْ أتخلصَّ مني أنا لألبسَ روْحاً أخرى أكثرَ قوةً، أكثرَ قدرةً على تحملِّ كلِّ تلك الخيبات دون أن تقشرَ قلبي مثلَ حبةِ برتقالٍ غضّ، البرتقالُ حتما يتألمُ حين نعرّيه، وكذلك قلبي، كنتُ طفلةً وكنتُ أرتكبُ حماقاتِ النِّساء، كنت أحملُ مسؤولية الآخرين العاجزين عن حملِ أنفسِهم، كنت أحمل أجنةَ أمهاتٍ غاضباتٍ حتى يهدأ نواحُهن من التغيراتِ الكبيرةِ وتهيّجاتِ الهرمونات، كنتُ أواسيهن في لحظاتِ انقلابِ مَعدةِ أيٍّ منهن في الصباحاتِ الباكرة، كنتُ أحملُ عنهن شعورَهن بالتعبِ وإحساسَهن بالغثيانِ المتكرر، وبإهمالِ أزواجِهن، كنتُ أسلكُ تلك الطريقَ دونَ أنْ أنتظرَ شكراً منهم، يعودُ الصوتُ الخشنُ ليسألَني.

- عن أي أجنةٍ تتحدثين؟ عن أي أمهات؟
- هذا شيءٌ لن تفهمَه، حتّى وإنْ كنتَ روحاً مقيمةً بجسدي، لكن سأشرحُ لك .. (ألم تعرفْ أني كنتُ يوماً جنينا؟ طيب!! كنتُ أحملُ نفسي بنفسي كي ترتاحَ حاملتي من وجعي، كم كنتُ ثقيلةً وكم كنتُ أسببُ لها الألم!! كلُّ ذنوبي كانت ترهقُها، كانت نحيفةً وكانتْ تكرهُ إنجابَ البناتِ مع أني كنتُ أولَ امرأة تحملُها بين أحشائِها، بعد أنْ أمسكت سنواتي).

- التي شكَلت قَرابةَ العقدِ بين كفي.
- صرتُ أحملُ همومَ الأمهاتِ اللواتي يسكنَّ وجعي، أحملُ لهنَّ أجنةً خُلقت في رحمي دون أن يدرين، ولأن الغثيانَ مقرفٌ كنتُ أتلمسُ الطريقَ كلَّ فجرٍ في الأروقةِ داخلي كي أصلَ للشمسِ قبل أن يوقظَهن صوتُ تلك الصرخات...

الطريقُ طويلٌ نحوَ توضيحِ الفكرة، أضعُ الكتابَ جانباً، الصباحُ يقتربُ من ساعاتِ استسلامِه للمساءِ والأسِرَّةُ تضجُّ بالحركة، والتسكّعُ انتهى لهذا اليوم، كما انتهت لحظاتُ ترتيبِ الرّفوفِ المتراكمِ عليها غبارُ السَنوات في ذاكرتي...

- سأعودُ للبيت الآن، لا ترافقْني رجاءً إن تعمقْت في أسئلتِك سأجدني أردُّ عليك بصوتٍ مرتفعٍ وسيظنون أني صرتُ مسكونةً وهذا آخرُ ما أريدُ لهم أن يظنّوه بي، لا تغضبْ وحاولْ أن تجدَ طريقَك بعيداً عن تهيّؤاتي.
- جبانة، الطريقُ تؤدي بي إليك لا محالة.
- وداعاً...

أتقوقعُ على ذاتي حين أشعرُ بأن الفشلَ نفسَه هو النجاحُ الذي كنتُ أتوقعُه.

المحارب الصغير

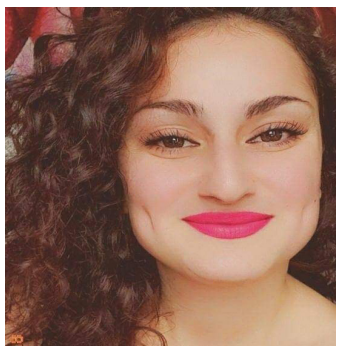

وئام فتال

الحب
وقبل أن يحبو
ثم يسقط
ويكبر
وتزداد شراسته
كانَ غضاً
وكنّا
نسميهِ المحارب الصغير.
اليوم
وبعدَ أن كبُر
غدا صوته خشِناً
تسمعهُ الشخوص وتحفظ
خُطا أنفاسه
الأماكن
عنيدٌ... ويغامرُ بنا
في الفيافي
والمنافي
بقوافلَ فارغة!
لا ناقةَ لنا من الهوى
ولا جمل
ولن يَسبي يوم الحساب
عِلتي بك
لن يحفرَ لأحزاننا قبراً
ولن يضمِّد
جذعاً في غابةٍ
كانت قد
وعدتنا بعذبِ المصير...
ومع ذلك
أحبهُ
كحريقٍ على شكلِ
مدفأة.

على مقام سبا

احتفيت بكل حماقاتي

جان بابير / النمسا

عرضت حماقاتي على أرصفة الشوارع؛ لأخرج من حضنها الدافئ أنزف به، لا فحولة في هذا الوقت، كيف أنسى حينما أضعت قبلتي كجندي قتيل على خندق جيدك، وتزيّنت بندبات الحرمان على طول جسدي؟! ليلة البارحة كنت أسحب خلف خطواتي جثة قلبي، أبكتني عيني بصمت، بصمت وأنين موجع، فارقت فستان عرسك المعلق على روحي.

في هذه البلاد لا شيء يشبه نفسه، لا الحب هو حب وحتى القبلة تفتقر للطعم، وحدها الحروب والانقلابات تتطور أكثر، هذه البلاد عاهرة في كوابيس نومها، وتبيع جثث قتلاها أمام حانات الشرف، وأية حماقة وأنتِ ترمين بنرد الثوار على صفيح البارود، مَن يحصي حماقات الملتحين كربح وخسارة على مائدة الوطن أو يعلن قدوم الفجر، من محنة العمر، من ضربات الألم أشتاق إلى كل حماقاتي، مثلاً أن أحي قبلتي القتيلة أو أنحر جيدك بسيف شفاهي، وربما أرمي بأقدام وقتي العاري إلى السيول.

في هذه البلاد لا تستغيث، لن يصل صوتك إلى عاصمة صماء وبكماء، وحدها الطبول تقرع قرب مدافن الموت، الحائك في المدينة أخطأ بين فستان العرس وحياكة الكفن، لقد التهموا كل شيء جميل بما فيه حماقاتي الرشيقة وابتسامة تلك المرأة، استشهدت آخر قبلة تحت أنفاسها الدافئة، وظل ظلي بهوس يطارح الريح غراماً بحثاً عن وجهها الذي ضاع في زحمة القتلى، لم تكن وحدها هذه الحماقة التي يجب أن تدونني تمزيقاً، بات جسدي ثقوباً ويعاني زحمة النزيف، في النفير الثاني بعد المائة على الحد الفاصل من تخوم نسيان، غباء يتدلى من قامتي يشير إلي المارة ويقهقهون السكارى وهم يشيرون إلى الغباء، لم يعلم أحد أنني كنت أهرب من ملاحقة الذاكرة لي بتهمة النسيان، كجاسوس رديء سردت قصصي السيئة، وخبئت نفسي أضحية في قلبي، أتحسّس صورتي في سرد القصة، أنا أقصد قصة فشلي في أن أحتفظ بقبلة محنطة، أحفظها بعيداً عن التفسخ، ويح هذه البلاد وصوره التي لا تمحى.

مَن قال أنني نسيت طريقي لتعقب المكان؟ في الرشفة الأخيرة أتأمل سطح الأيام ماذا حل بنا، لم تعد صورنا تشبهنا، الموت في تناسل ذروته، حمى الرحيل بين خنادق التي تمارس لعبة القتل بين الرصاص، في هذه الفوضى نسوا أصص الزهور على الشرفة دون ماء، لم يكتب أحد قصيدة في ذلك، ولم يلتفت أحد إلى تلك الرسالة المغلقة في يدي الجندي وعيونه المفتوحة على وسع السماء، ذلك الجندي كان (أنت، هو، أنا...)، لم تصل رسالته إلى الحبيبة، كتبت في الختام: «أنا أنتمي إليك؛ أنت وطني، وتلك البلاد العاهرة التي فرقتني عنك غريبة لا أعرفها (أشتاقك) أكثر من قارة وكل البلدان، كلما مررت بالقرب من قبري ابتسمي لي وابصقي على الأحياء الذين كانوا سبباً في فقدانك».

لا أحد سيفتش في جدول أسماء العائلة عن اسمه، سيسجل في أعداد الحمقى الغائبين، ونقشوا بأحرف واضحة على شاهدت القبر: «هزمت الهزيمة، وأنت تسير في طريق الوطن».

هذه البلاد حبلى كاذبة بثورة القحاب والملتحين، عاش الوطن الذي يكثر فيه الخبز والأحذية.

هيئة الاستشارية:
جان بابير
نارين عمر

هيئة التحرير:
سربند حبيب
إدريس سالم
رشيد جمال

محرّرون:
فاتن حمودي
سلمى جمو

لافا إيبو

من مدينة عفرين في سوريا، ومقيمة حالياً في تركيا. فنّانة تشكيلية ومصمّمة أزياء، حائزة على الشهادة العلمية من المرحلة الثانوية. مارست شغف الرسم منذ نعومة أظافرها، وعاشت طفولتها على الأقلام والألوان واللوحات. شاركت بدورات ومعارض رسم عديدة، ومنها معرض «أنا أرسم»، تحت إشرافها، والذي أقيم في مدينة عفرين، حيث ضم أعمالًا لأكثر من 17 فنانة من مختلف الأعمار والثقافات، أبدعوا بفنّهم وعملهم. صاحبت هؤلاء الرسّامين على مدار شهور، وعبّرت رسومات المشاركين عن ثقافات السوريين المتعددة وحالة التعايش الموجودة، تقول لافا عن الفنّ:
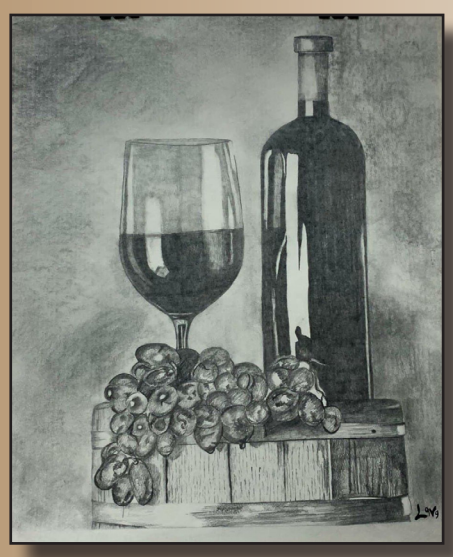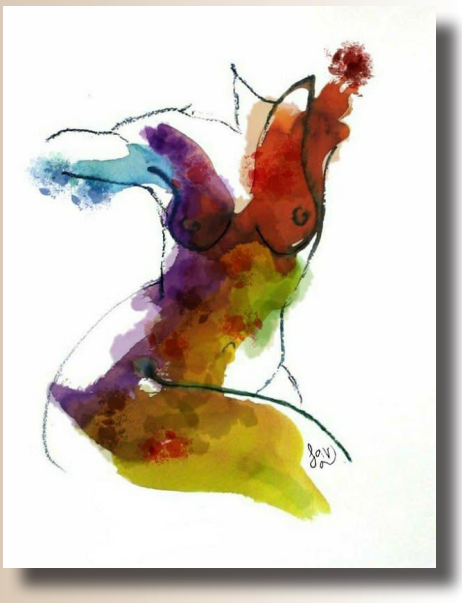
«عندما استيقظت صباح اليوم رأيت الألوان انسكبت في أنحاء غرفتي والستائر مغلقة، يكسوها ضوء الشمس المبهج الذي اخترقها مضيئاً زوايا غرفتي الزرقاء. فتحت النافذة لأتفقد الأجواء في الخارج، وكانت أشجار الزيتون التي على وشك أن تنقل لي لوحة جديدة تتهامس فيما بينهما وتتبسم لي خجلة، أدركت حينها أنه العيد مرة أخرى».